daralmoltaqa@gmail.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع القانوني: 2018/2047

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر. يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

00201003528058

daralmoltaqa@gmail.com

رباب عبد الصمد

سكنة القلوب

قلوب بين الحب، وفراق من تحب

ملتقى المعرفة
للنشر والتوزيع

daralmoltaqa@gmail.com

إهداء

إلى روحك الطاهرة، وعبيرك أهدي إليك كلماتي.. أمي رحمها الله

إلى جذري الممتد في أعماق الأرض، وفرعي المرتفع إلى السماء.. أبي العزيز

لولا وجودك ما كانت حياتي بهذه السعادة والروعة.... زوجي الحبيب

محمد ، روان، روزان زهور متفتحة في بستاني ، وبلابل مغردة في كلماتي

أبنائي الأعزاء

daralmoltaqa@gmail.com

مقدِّمة

من نور الحياة إلى توءم روحها

قد تسكن جوانح قلبي وأكثر بل أكثر وأكثر

قد تجوب أروقة عقلي وأفكاري لا بل أكثر

أنت تحتل ذكرياتي وكل عمري الآتي لا والله أكثر

أحبك بعدد حروف كلام العشق والأسطر لا بل أحبك أكثر

أعشقك بكل وجداني وسأظل أحكي حبك وأقص وأسطر

فأنا الصامتة الباكية التي أعياها البحث عنك وأكثر

أنا الذي وهبني الله ملاكاً أحببته فلله أصلي وأشكر

فلك حبيبي لهديتي قلبي وعقلي وحياتي وأكثر

وإن كنت أنت أسميتني نور حياتك فأنت حقًّا توءم روحي

- كل منا خلفه قصة قد تكون حزينة أو كلها فرح أو قد تكون قصة غامضة تحتاج من يفسرها حتى نتعرف على صاحبها أو تكون قصة كلها رعب أو قد تكون مزيجًا بين كل ما سبق.
- وكما أن لكل منا لحياته قصة فكذلك لحياته صفة قد تكون حياة هادئة أو متوترة أو رتيبة أو روتينية وعلى كل منا التكيف على حياته أو التمرد عليها ولكن قد يكون التكيف أو التمرد إجباريًا تحتمه علينا الظروف فمنا من يجد نفسه يعيش حياة غير راضٍ عنها ولكنه مجبر عليها وهنا نقف على مفترق الطريق فإما أن نتكيفَ معها أو نتمرد عليها.
- وقصتنا تدور حول أطفال أجبرتهم الظروف أن يعيشوا في دار أيتام ويجب قبل أن ندخل في تفاصيل حياتهم علينا أن ننوه على أهم ما في الموضوع وهو:
- ليس من الضروري أن يكون كل طفل يعيش في دار أيتام مجهول الهوية أو طفل شوارع أو لقيط وإلى آخر الصفات التي تندرج على كل من يتربى في دار أيتام.
- لكن هناك ظروف أخرى قد تضطر أبًا أو عمًا أو أي ذي صفة أن يضع قريبه أو حتى ابنه في دار أيتام لأنه آأمن مكان لهذا الطفل.
- ويجب أن ننوه أنه ليس كل طفل يتيم فقير بل قد يكون أغنى من آخرين ولكنه يكون مفتقرًا لمسحة يد حانية على رأسه تزيل عنه وحشة الدنيا وتحسسه بالأمان فليس ذنبه أنه ولد يتيمًا أو حكمت عليه ظروف خارجة عن إرادته وإن أردنا أن نحقر من شأنه علينا أولًا الاعتراف بأننا لا نؤمن بالله ولا نؤمن بالأقدار التي خلقها الله وجعلها مكتوبة علينا وليس لنا حيلة فيها.

- كما أن هؤلاء الأطفال يحملون من الأحلام والأماني كأي طفل مثلهم خارج أسوار الملجأ؛ لأنهم بكل بساطة بشر لهم قلوب تتمنى وعقول تحلم وإن كانت أحلامهم تتحقق بعد عناء وتحتاج لإرادة أقوى من إرادة أمثالهم من الأطفال فكون سور الملجأ الذي يحيطهم من الخارج أجبرهم على تحدي صعوبات أكبر من التي يقابلها من هم في نفس عمرهم خارج هذا السور.
- نعم فمجرد سور خارجي أحاط بهم وضع أمامهم كثيرًا من العقبات لتحقيق أمانيهم، وبالرغم من كون هذا السور عائق لهم لتحقيق أهدافهم إلا أنه يخلق منهم شبابًا قوي الإرادة.

* * *

دار أيتام الملاك الصغير

أمام لافتة دار الأيتام، وقف رجل يحمل من الملامح الوقار والطيبة وبيده طفلة صغيرة، وبعينيه حزن وقبل أن تترقرق دموعه شد على يد الطفلة التي تبلغ من العمر ٦ سنوات وبحزن قال لها: معلش يا "نور" يا بنتي.

ثم تنهد تنهيده بائسة، ودخل للدار.

مدام حكمت مديرة الدار: أهلًا وسهلًا يا افندم اتفضل.

– السلام عليكم يا مدام حكمت.

– ازيك يا حاج علي عامل إيه؟

– الحمد لله يا مدام بس قلبي تعبني علشان نور.

– ليه كده يا حاج علي.. نور ديه زي بنتي وفي عنيا.

– وأنا مطمن عليها طول ما إنتي جنبها يا مدام حكمت.

– خلاص سافر إنت بالسلامة ومالكش دعوة.. أنا هاطمنك عليها دايمًا ولو فيه حاجة أنا هأقولك.

– نور بنت أخويا أمانة عندك يا مدام حكمت، ولو جرالي حاجة سلميها لولادي هما هيراعوها كويس، بس دلوقتي للأسف مينفعش أربيها في وسطهم خصوصًا إنك عارفة سنهم حرج.

– ما تقلقش يا حاج سافر وإنت مطمن.

– سبحان الله زي ما يكون أخويا عادل كان عارف إنه هايحتاج للدار بتاعتك علشان كده دايمًا كان حابب إنه يتبرع لها زي ما يكون قلبه كان حاسس.

– الله يرحمه.. إنت كمان الله يكرمك بتساعدني.. ربنا يديك طولة العمر.

– كله من فلوس أخويا الله يرحمه إللي كان سايبها لنور، وهو إللي كان موصي بكده علشان تبقى صدقة جارية على روحه.

سكت الحاج علي للحظات.

ثم قال في حزن: طبعًا إنتي عارفة إن عمري ما أفرط في لحمي، بس أنا لازم أروح أتابع شركاتي إللي في إيطاليا لأني قعدت هنا فترة بسبب مرض أخويا عادل، وكان المفروض آخد نور بنته تعيش مع ولادي وزوجتي.

ثم أكمل في خجل: بس للأسف زوجتي عايزة هي كمان تيجي تعيش معايا في إيطاليا بدل ما أنا في بلد، وهما في بلد تانية، وهي خافت إنها تخلي نور تعيش معانا علشان ولادي داخلين على مراهقة، ومينفعش نور تعيش وسطهم.

ثم تحدث سريعًا وكأنه وجد لنفسه المبرر: وكمان أنا مش عايز أربيها في بلد أجنبية علشان ديه بنت، وأنا عايزها تتربى عالأخلاق كفاية هعاني مع أولادي من فرق التقاليد بين هنا وهناك، بس أرجع وأقول في الآخر دول صبيان مش هخاف عليهم زي نور.

نظرت مدام حكمت تجاه نور الواقفة أمام أقدام عمها، وقد أمسكت في يدها دومية كانت تداعبها بكل براءة دون أن تفهم ما يقال

حولها، ولا تعلم شيئًا عن ما يخبئه لها مصيرها المجهول حيث مدت مدام حكمت يدها برفق تجاه نور وقالت: تعالي يا نور في حضني، وهاتي بوسة جميلة من خدودك الحلوة ديه.

لم تجبها نور وتشبثت بأقدام عمها أكثر. شعر الحاج علي أن نور قد أمسكت بقلبه المجروح على تركه لها هكذا.

لاحظت الحاجة حكمت الدموع التي ظهرت في عينيه، فحاولت أن تخفف من حدة الموقف، وقامت ناحية نور ومدت لها يدها وقالت: تعالي يا نور يا حبيبتي ده أنا عندي أطفال كتير أدك كده هيلعبوا معاكي.

شعرت نور بالقلق حيث قالت بخوف: أنا عايزة أروح عند عاصم وحسام.

حكمت مستفسرة: عاصم وحسام دول ولادك؟

– آه ولادي وهما بيحبوها جدًا، وهيزعلوا أوي أول ما هيعرفوا إني بعدتها عنهم خاصة عاصم.

– ما شاء الله هما عندهم كام سنة؟

– عاصم عنده ١٤ سنة وحسام ١٢ سنة.

حاولت مدام حكمت أن تسحب نور من أمام قدمي عمها، ولكنها لم تفلح فقد احتضنت قدميه وهي تصرخ بشدة.. لم يستطع عمها التماسك فبكى هو الآخر قبل أن تظهر المفاجأة، فقد سكتت نور فجأة عندما شاهدت دموع عمها، وبحركة طفولية صعدت على حجره ثم مسحت دموعه.

وهي تقول: إنت زعلان علشان أنا مش عايزة أروح لها، طيب خلاص أنا هاروح معاها وإنت متعيطش تاني.

بكت الحاجة حكمت هي الأخرى عندما اتجهت لها نور وأمسكت يدها ثم قالت: خلاص يا بابا متعيطش أنا أهه روحتلها.

أرادت مدام حكمت أن تخلص الطفلة وعمها من صعوبة هذا الموقف، فصاحت على الدادة وقالت لها: خدي نور تلعب مع الأولاد.

خرجت نور مع الدادة وهي تراقب عمها هل كف عن البكاء أم ما زال يبكي؟

حكمت: خلاص يا حاج علي هي مشيت وكلها يومين وهتنسى.

– قصدك كلها يومين وتكرهني ديه بتعتبرني أبوها، ومفيش حد بيسيب لحمه، بس حكم القوي على الضعيف منك لله يا خيرية ما كنتي سيبتيها تتربى مع العيال.

وعندئذ فهمت مدام حكمت أن المشكلة ليست في أي شيء مما قاله، بل المشكله تكمن في زوجته حيث قالت وهي تواسيه:

– قوم يا حاج علي ومتخفش عليها هي في أمان، وكل ما تنزل القاهرة تعالى واطمن عليها.

أومأ الحاج علي برأسه قبل أن يمسح دموعه، ومشى ثم وقف من بعيد يتأمل نور التي تحتضن عروستها بعيدة عن الأطفال، وكأنها رافضة حياتها الجديدة لذا لم يستطع مقاومة دموعه وهو مستسلم للأمر الواقع.

بينما كانت تراقبها مدام حكمت من نافذة مكتبها بحزن تلك السيدة التي لم يسبق لها يومًا أن أنجبت ليطلقها زوجها كما يقطع الفلاح شجرة لا فائدة لها دون ثمار حيث أوحى الله لها بفكرة إنشاء هذه الدار ليعوضها عما فقدته من إحساس بالأمومة.

وصل الحاج علي لفيلته حزينًا وكأنه عائد من جنازة نور حيث أقبل عليه كل من عاصم وحسام.

عاصم بلهفة: فين نور يا بابا؟

لم يجب الأب وأكمل طريقه إلى المكتب هربًا من معاتبة أولاده.. ولكنهما دخلا خلفه.

عاصم: لو سمحت يا بابا ممكن ترد عليا وديت نور فين؟!

– وديتها دار الأيتام علشان إنتو عارفين إننا خلاص مسافرين بكرة لإيطاليا.

حسام بعصبية طفل: يعني سمعت كلام ماما وبعدتها عننا؟

قال عاصم قبل أن يهرول أخيه إلى غرفته باكيًا: حضرتك وافقت ماما على كده ليه؟

ثم وقف أمام أبيه وكأنه يتحداه.

اندهش الأب وقال: مالك واقف كده ليه يا عاصم؟!

عاصم في ضيق: أنا عمري ما هاسامحك يا بابا، ومتقوليش ماما السبب؛ لأن حضرتك كان ممكن تصمم وتمشي رأيك.. لكن إنت من الأول مش بترفض لماما طلب يعني زعلان منك إنت أكتر من ماما.

خرج عاصم وترك أباه يحدث نفسه: إنت ضغطت على جرحي أوي يا عاصم، واجهتني بنفسي إللي مش قادر أواجهها، أنا فعلًا إللي دلعت أمك وعودتها إني مرفضلهاش طلب وادي النتيجة.

قرر كل من عاصم وحسام اللجوء لأمهما ربما رق قلبها.

عاصم: علشان خاطري يا ماما خلي نور ترجع تعيش معانا، أنا مش هأقدر أسافر وأسيبها هنا لوحدها.

خيرية وهى تقف أمام المرآة تصفف شعرها: علشان خاطرك إنت بالذات نور ديه مش لازم ترجع تعيش معانا.

– طيب قوليلي إيه السبب؟ حرام يا ماما نسيبها تعيش لوحدها هنا ومفيش حد معاها.

– إنت مش بتفهم بأقولك علشانك إنت بالذات نور مش لازم ترجع.

صاح حسام في وجه أمه: إنتي ليه بتكرهيها؟ علشان بنحبها أكتر ما بنحب سارة وياسمين ولاد خالتو عفاف؟

خيرية: ليه يا حسام يا حبيبي؟ ده إنتو حتى هتتجوزوهم لما تكبروا.

أشاح لها حسام بوجهه، وخرج ومن خلفه عاصم بعد أن فقدا الأمل بإقناعها بعودة نور حيث دخل على أثرهما الأب، ونظر لزوجته وكأنه يشم رائحة نتنة ثم قال: شايفة آخرتها، أهو ابنك بيعتبرني ضعيف الشخصية قدامك.

خيرية: أكيد ده عاصم.. صح؟

– أيوه يا هانم.. علشان طالع عاقل ومخه كبير.

– مهو علشان عاصم بالذات أنا مش عايزة نور.

– ليه إن شاء الله؟!

– بص يا علي واسمعني كويس.. صدقني أنا مش بكره نور زي ما إنت فاهم، بالعكس ديه طفلة ومعملتش أي حاجة وحشة.. بس إنت شايف ولادك بدأوا في سن مراهقة وعاصم أنا متاكدة إنه بيحبها.

– وفيها إيه لو بيحبها مش بنت عمه؟ ولا إنت عايزاه يكرهها؟

– بس ده معناه إنه بيبص ليها بنظرة تانية غير إنها أخته، وده ممكن يدخلنا بمشاكل خاصة إن نور طالعة لأمها الله يرحمها بيضا، وشعرها أصفر، وعينيها عسلي، وجسمها من الواضح إنه هيكون أكبر من سنها، ومش هينفع أحط النار جنب البنزين، ده من ناحية، ومن ناحيه تانية....

قاطعها الزوج: من ناحية تانية مش عايزة تتحملي مسؤولية تربية من جديد لكن عايزة تتحرري، وتحتكي بزوجات رجال الأعمال، ومن ناحية تالتة عايزة ولادك يتجوزوا بنات أختك مش بنت عمهم صح؟

– وماله إذا كان رأيي كده.. برده مش شايفة إنه غلط.

تركها الزوج وتنهد بحزن وقال: يا رب يا نور تحبي مدام حكمت وتقدر تعوضك الحنان إللي اتحرمتي منه بدري.

وأمام الغرفة وجد عاصم ينتظره حيث قال: طيب ممكن طلب أخير يا بابا؟

– اتفضل يا حبيبي.

– ممكن تودیني أروح أسلم عليها وأودعها أنا وحسام؟

نظر الأب بغل ناحية باب غرفة الزوجة قبل أن يبتسم في وجه عاصم ويقول: حاضر.. حاضر يا حبيبي.. بس تشوفوها من غير ما تشوفكوا علشان ما تتشبث بيكو.. فهِّم أخوك كده كويس.

– حاضر يا بابا بعد إذنك أنا هاطلع أقوله إنك وافقت على إننا نشوف نور.

نور تلك الطفلة التي لم تجد أحدًا تحتضنه سوى عروستها، تلك التي تستمد منها القوة والحنان في ذلك العالم الغريب، بين أشخاص لا تعرفهم، وفي مكان لا تجد فيه رائحة أبيها أو عمها أو أولاد عمها، لذا قررت ألا تندمج مع أي طفل، علاوة على أنها لا تأكل بشكل منتظم على الرغم من محاولات الدادة ومدام حكمت.

وفي ساعة وجدت طفلًا يقترب منها ممسكًا بشطيرة، وبعد أن أهداها ابتسامة صافية مد لها يده قائلًا: مش عايزة تاكلي من دادة ولا من ماما حكمت.. طيب ممكن تاكلي مني السندوتش ده؟

نظرت له نور دون أن تتكلم، ولكنها وجدت فيه حنان عاصم حيث تبسمت له ببراءة وسألته: إنت اسمك عاصم؟

– لا أنا اسمي آدم بس إنتي ليه افتكرتي إن اسمي عاصم؟!

– علشان إنت شكل عاصم.

في نفس اللحظات كان عاصم وحسام والحاج علي يمسكون بسور الدار من الخارج وهم ينظرون لها دون أن تراهم، وعندما شاهد عاصم ذلك الطفل يقترب منها إذ دبت في قلبه الغيرة قبل أن تخمد مرة ثانية، فقد استمع لحديث آدم مع نور، وعلم أنها لم تتحدث إليه إلا لأنه شبيه له، فلم يستطع الوقوف بعيدًا عنها أكثر من ذلك، فلغى أي

اتفاق مع والده، وهرول ودخل الدار سريعًا، ومن خلفه حسام بنفس اللهفة.

تسمر الأب مندهشًا، وهو يتابع بقلق تصرفات حسام وعاصم الذي أمسك به رجل الأمن ونهره، فصاح حسام لعله يتركهما لرؤية ابنة عمهم.

خرجت مدام حكمت لتستكشف هذا الأمر بعد اتصال الحاج علي بها لتهدئة هذا الوضع.

مدام حكمت: سيبهم يا عم أحمد خليهم يدخلوا يشوفوا بنت عمهم.

جرى عاصم وحسام تجاه نور حيث صاح حسام على آدم، وقال: إنت مالك ومالها؟!

قال آدم: أنا معملتلهاش حاجة.. أنا كنت عايزها تاكل.. علشان هى مش عايزة تاكل خالص.

جرى عاصم على نور التي كانت لا تقل عنه سعادة، ثم احتضنها بلهفة وقد زادت لهفته عندما قالت له: إنت واحشني أوي يا عاصم.

بكى عاصم وهو يربت بيده على ظهرها ثم تماسك مرة أخرى وقال بلسان رجل ناضج: إنتي مش عايزة تاكلي ليه يا نور؟

لم تهتم نور لما قاله ولكنها سألت: إنت جاي تأخدني معاك يا عاصم؟

لم يستطع عاصم الرد، ولكن أنجاه من تلك الحيرة أخوه حسام الذي عاد بعد أن اشترى لها بعضًا من العصائر ومد بها يده تجاه نور.

وقال: خدي يا نور.. أنا عارف إنك بتحبي عصير الأناناس أوي.

مدت نور يدها وهي تقول: أنا هاجي معاكو.. مش هاقعد هنا لوحدي تاني.

نظر حسام لعاصم وكأنه أراد منه المساعدة.

عاصم بهدوء: بصي يا نور إحنا هانمشي دلوقتي، وهنرجعلك تاني بس أهم حاجة أنا عايزك تاكلي كويس علشان مش أزعل منك.

اقترب حسام هو الآخر منها وقال: هتوحشينا أوي يا نور.

وقفت نور بينهما حائرة تريد أن تعرف معنى لكلامهما، ثم لماذا هي هنا؟ ولمَ لا تذهب معهما إلى الفيلا؟ في حين كان آدم يقف بالقرب منهم يتابع ذلك الحديث، ولا تزال بيده تلك الشطيرة التي أراد أن يهديها لنور من قبل حيث اقترب عاصم من آدم وأخذ منه الشطيرة وأهداها لنور التي أخذتها منه بكل سهولة قبل أن يعود عاصم لآدم مرة أخرى، وقد أمسك بيده وقربه من نور ثم سأله: إنت اسمك إيه؟ وعندك كام سنة؟

رد آدم: اسمي آدم.. وعندي ١٤ سنة.

– طيب ممكن تعاهدني وتوعدني بشيء مهم يا آدم؟

– ماشي.. أنا تحت أمرك.

وعندئذ طلب عاصم من آدم أن يحرص على نور كل الحرص حيث قد أخبره عن ظروفه وظروفها، وعن رغبته أيضًا من الزواج منها عند الكبر علاوة على وصيته في أن يضع يده على خدها من حين لآخر ليراقب ارتفاع حرارتها التي عادة ما تلزمها دون أن تشكو هي من ذلك.

ليجيبه آدم بكل شفقة: حاضر.. حاضر أوعدك إني هاخلي بالي منها.

بينما تقف نور بينهما لا تعلم أي شيء سوى أنها سعيدة بوجودها بينهم حيث اقترح حسام بأن يلتقطوا هم الثلاثة صورة سيلفي، وبالفعل تم التقاط الصورة للأربعة بعدما همست نور لعاصم قائلة: خلي آدم ييجي يتصور معانا.

خرجت مدام حكمت للحاج علي خارج الدار يتأملان سويًا ارتباط هؤلاء ببعضهم، لتقول

مدام حكمت بدهشة: سبحان الله! ولادك بيحبوها جدًا يا حاج علي.. كمان نور ما ابتسمتش إلا لما هما جم.

– صدقيني أنا كمان عمري ما كنت أتخيل إنهم مرتبطين ببعض كده.. بس الظاهر إن هما أحن عليها مني.

– متقولش كده يا حاج علي.. ده مفيش من طيبة قلبك وحنيتك.. لكن هي بقى الظروف. عاد الحاج علي مستفسرًا: هو الولد إللي بينادوه بآدم ده حكايته إيه؟

– آدم؟.. آدم ده حاله زي معظم نزلاء الدار.. هو كمان والده ووالدته متوفين، وإللى جابه هنا هو اللواء محمود، وده كان صاحب والده إللي وصاه على ابنه، وكمان هو ساب له ثروة كويسة، واللواء محمود بيجي كل شهر يطمن على آدم، ويسيب له مبلغ بيتحط فى الأمانات كمصروف شهري ليه. كمان بيعامله زي ابنه، ومتفق معايا إنه أول ما آدم يخلص المرحلة الثانوية هيدخله شرطة كرد جميل لصاحب عمره إللي هو والد آدم.

– فعلًا مش كل إللي في الملاجئ ولاد شوارع.

– أكيد بس برده الناس مش قادرة تغير تفكيرها عن طبيعة أطفال الملاجئ يعني على سبيل المثال أنا هنا عندي طفلة أكبر من نور بحاجة بسيطة وأمها هي اللى جايباها هنا.

الحاج علي بدهشة: بتقولي أمها هي إللي جابتها لهنا ازاي يعني؟ وازاي قدرت تفرط في ضناها كده؟

ابتسمت مدام حكمت وردت: إنت كمان حكمت عليها من غير ما تسمع مبرراتها، وإحنا لسه بنتكلم على آراء الناس في أطفال الملاجئ، وإنهم بيظلموهم زي ما في حد تاني لو عرف إن نور لها عم مبسوط ماديًا، وعنده ولاد بيحبوها هيقولوا ازاي ساب لحمه؟

احمر وجه الحاج علي من الخجل بينما تجاهلت مدام حكمت ذلك وسردت حكاية فريدة التي تزوج أبوها الصعيدي من أمها على غير رضا أهله الذين قاطعهم والد فريدة وصمم على الزواج من أم فريدة، ولكنه توفي تاركًا زوجته وابنته دون سند، لذا اضطرت الأم على تركها هنا بعد توصيتها بأن تذهب فريدة لأهل أبيها عندما تكمل ٢١ عامًا من أجل استلام إرثها، وبعد أسبوع من مجيء فريدة للدار ماتت الأم، وكأنها كانت تعلم باقتراب أجلها.

الحاج علي متاثرًا: الله يرحمها.

– أنا عندي أمثلة هنا كتير أوي غير فريدة حكمت عليهم الظروف إنهم يتربوا في دار أيتام وأهلهم موجودين.

– فعلًا إللي يشوف بلوة غيره تهون عليه بلوته.

– أنا هادخل بقى.. كمان أنا شايفة ولادك أهم خارجين.

– مع السلامة يا مدام حكمت ومش هوصيكي على نور.

في اليوم التالي وصل الحاج علي وأسرته إلى إيطاليا، وبدأ كل واحد بترتيب أغراضه في حجرته في حين قال الزوج لزوجته: يا ترى نور عاملة إيه دلوقتي؟

ردَّت خيرية بشيء من الدلال: لازم نبص لمصلحتنا شوية يا علي.. وما تنساش إننا لازم نستقر فترة طويلة هنا علشان نعرف ناخد الجنسية إللي هاتخدمنا في إننا نكبر شركاتنا.

انسحب الزوج من الحوار سريعًا، فما الفائدة من أي حوار الآن؟ ثم شرد بنظره خارج النافذة وكأنه يرى نورًا وهي تجلس بجوار آدم الذي اعتاد أن يهدي لها شطيرة كل يوم، كما اعتاد أن يصفف لها شعرها الناعم الطويل كما كان يفعل عاصم من قبل، بينما كانت تراقب مدام حكمت ذلك من بعيد وتبتسم ابتسامة حائرة بين الشفقة وسعادتها بتغير أحوال نور الذي قادها آدم بالتعرف على فريدة وليلى أيضًا تلك الطفلة التي تبلغ من العمر ١٠سنوات، والتي جاءت هنا بعد رفض أخوالها استلامها بعد موت أبيها، وإلقاء أمها بين جدران السجن.

ولكن من ذا الذي سيخبر عاصم أنها بخير الآن بين أخواتها الجدد؟ لا أحد؛ لذا وجد نفسه متجهًا لغرفة مكتب أبيه ثم طرق على الباب.

الحاج علي: ادخل.

دخل عاصم على والده، وكأنه نسي لسانه بالخارج، شعر الأب بتوتره وقال: ما تقلقش هي كويسة.

– بجد يا بابا هى كويسة.

ضحك الحاج "علي" على تلقائية ابنه وقال له: طيب إنت عرفت الأول أنا بقول كويسة على مين؟

احمر وجه عاصم وقال: ما أنا عارف إن حضرتك بتتكلم على نور.

الحاج علي وهو يبتسم بخبث: وإيه إللي مخليك متأكد إني بتكلم عن نور؟

تحشرج صوت عاصم مرة أخرى، قبل أن ينجيه حسام الذي طرق الباب هو «الآخر» بحجة أنه جاء يبحث عن عاصم للعب معه.

وعندئذ أغلق الحاج علي باب الغرفة، وأخذ يحدث أولاده في موضوع هام حيث قال: إنتو عارفين يا ولاد إن عمكو عادل كان شريكي في الشغل، وإن بنته نور لها ورث عند أبوها وأنا الوصي عليها.. عايز أقولكوا إني دخلت فلوسها مع شركاتنا بهدف زيادتها طبعًا.. تمام كده؟

عاصم: تمام يا بابا.

الحاج علي: فياريت ما تقولوش لأمكو على الموضوع ده، ولو حصلي حاجة، أوعوا تسمعوا كلام أمكو لو وزتكوا على أكل مال اليتيم.. توعدوني بكده؟

عاصم وحسام: نوعدك يا بابا.

وقبل أن يتركا الغرفة أخبرهما الأب أن هناك شيئًا ما لابد أن يفرحهما حيث فتح الحاج علي اللاب توب الخاص به، ليشاهدا بعضًا من الصور والفيديوهات لنور وأخواتها الجدد، وعلى الرغم من فرحتهما بذلك إلا أن ابتسامتهما بدأت تتلاشى عندما وجداها في جميع الصور ممسكة بيد آدم.

تنحنح الحاج علي عندما شعر بالغيرة ترتسم على وجه عاصم حيث قال: واضح أوي إن نور مش عايزة تسيب آدم علشان هى شايفاه زي عاصم.

ترك عاصم غرفة المكتب دون أن ينطق بأي كلمة وكذلك فعل أخوه حسام الذي شب في قلبه الغيرة أيضًا من آدم الذي يحادث نور الآن وهما يجلسان مع الأطفال حول مائدة الإفطار وهو يمد يده بالطعام تجاه فمها قائلًا: لازم تفطري كويس.. المستر قالنا إن وجبة الفطار ديه أهم وجبة فى اليوم.

– هو إنت في مدرسة؟

– آه، أنا في الإعدادية، وعلى فكرة فريدة وليلى هما كمان فى المدرسة، في سنة خمسة ابتدائي.

– طيب أنا عايزة أروح معاك المدرسة.

– ما هو قريب أوي ماما حكمت هاتقدملك بالمدرسة.

– يعني هاكون معاك؟

– لا يا حبيبتي إنتي لسه صغيرة على الإعدادية.

– لا، أنا عايزة أكون معاك.

ضحكت كل من فريدة وليلى حيث قالت فريدة: يا ستي بكرة تكبري وتروحي معاه.

بعد تناول وجبة الفطار خرج الأطفال للحديقة، ثم اشترى آدم لنور شيكولاتة إضافة إلى علبة ألوان وكراسة.

نور: شكرًا يا آدم.. بس إنت جبت الفلوس منين؟

– عمي محمود بيسيب لي مصروفى.. وأنا لما باحتاج حاجة باجبها.

– طيب أنا كمان عايزة يكون معايا مصروف زي ما بابا كان بيديني.

– إللي إنتي عايزاه بقى اطلبيه مني وأنا أجيبهولك.

– حاضر.

قابلتهم مدام حكمت بصحبة فريدة وليلى، وبعد أن تبسمت في وجه نور قالت: الله يا نور مين إللي جاب لك الشيكولاتة ديه؟ وإيه الألوان الجميلة ديه؟

– آدم جابهوملي علشان أرسم.

اتجهت مدام حكمت لآدم وقالت: آدم يا حبيبي إنت جبتهم برده من مصروفك؟

– أيوه.

– برافو عليك يا آدم.. بس يا حبيبي أنا عايزة أقولك إن نور كمان ليها مصروف بس مش هينفع اديهولها علشان هى هتضيعه، لكن إللي هى عايزاه أنا هاجيبهولها وبلاش إنت تصرف مصروفك عليها.

– مفيش مشكلة يا ماما حكمت أنا مبسوط أصلًا إني جبتلها الحاجات ديه.

– طول عمرك راجل يا آدم.

استأذنت مدام حكمت منهم بعد أن مررت يدها على شعر نور وهي تقول: استعدي يا نور.. فيه ناس كتير جاية تلعب معاكو، ويعلموكوا الرسم والموسيقى وحاجات تانية كتير.

شعرت كل من فريدة وليلى بالضيق على وجه آدم لذا سألت فريدة: مالك يا آدم؟ ليه دايمًا مش سعيد بحفلات زوار الدار؟

رد آدم: بصوا أنا عايزكوا تلعبوا وتتعلموا كل إللي هيعملوه، لكن من بعيد، لأن فيه منهم كتير معاهم كاميرات تليفزيون علشان يصورونا ويذيعوها ويتفشخروا إنهم بيعملوا خير، في الوقت إللي أنا مش بحب إننا نظهر على إننا ناس يتيمة وضعيفة ومحتاجة شفقة.

ليلى: وأنا كمان موافقة على كده وهاكون معاك وألعب من بعيد.

فريدة: خلاص وأنا كمان معاكو.

بعد حوالي ثلاث ساعات حضر المتطوعون، وبدأوا يلعبون مع الأطفال ويوزعون عليهم الهدايا والملابس بينما ابتعد الأربعة عند تقديم المساعدات.

مرت سنة تلو الأخرى كان فيها آدم كظل لنور التي زاد ارتباطها بليلى وفريدة أيضًا إلا أن ارتباطها بآدم يهون أمامه أي شيء، فقد أصبح لها الحياة ذاتها التي كانت فارغة يوم رحل من أمامها حسام وعاصم اللذان يجلسان الآن بجوار أبيهما، فقد وعدتهم مدام حكمت بتصوير فيديو خاص بنور وهي تلعب بالحديقة.

وبالفعل فتحت مدام حكمت الكاميرا وبدأت فى بث فيديو مباشر لنور، وقد كان المشهد لنور وهي تتأرجح على الأرجوحة وآدم من خلفها، وفجأة سقطت توكة شعرها، فأوقفها آدم، وصفف لها شعرها الناعم، بينما الحاج علي يتابع تصرفات آدم بسعادة إلا أنه كان مشفقًا على ابنه عاصم الذي بدا وجهه مثل كتلة من الجمر.

مدام حكمت بصوت مسموع: نور.. نور.. تعالي كلمي عمو علي.

هرولت نور إليها وهي لا زالت ممسكة بيد آدم وبصوت طفولي قالت: آلو، ازيك يا عمو، إنت مش بتيجي ليه علشان تلعب معايا أنا وآدم؟

– أنا هاجي يا حبيبتي، بس أنا عايز أقولك إنك وحشتيني أوي.

– طيب فين عاصم؟

اقترب عاصم من الكاميرا سريعًا لكي تبادره نور.

– أنا زعلانة منك علشان إنت سيبتني.

– معلش يا نور أنا هاجيلك قريب، بس عايزك تخلي بالك من نفسك.

– متخافش، آدم بيخلي باله مني وبيلعب معايا.

أخذ حسام دوره أمام الكاميرا وأشار لنور وقال: ازيك يا نور، اوعي تكوني نسيتيني.

– لا، أنا فاكراك، ومش نسيتك.

– طيب.

قاطعه عاصم وقرب الكاميرا منه، وقال لنور: ممكن أكلم آدم؟

تفاجأ الأب من طلب ابنه، وانتظر ماذا سيقول له عاصم؟

آدم: أهلًا، ازيك يا عاصم.

– خلي بالك من نور يا آدم، وكل شوية جس جسمها علشان بتسخن ومش بتعرف تقول، وما تنساش إني قولتلك إني هاتجوزها لما أكبر.

ثم انتهت المكالمة وترك عاصم أباه يحادث نفسه: للدرجة ديه بتحبها يا عاصم، بس الظاهر إن حبك ده مش حب مراهقة ولا حاجة ده حب حقيقي، لأنك أصلًا سابق سنك بكتير، وهي كمان إللي يشوفها لازم يديها أكتر من ٨ سنين.

– آلو، أيوه يا سيادة اللواء، أنا حكمت مديرة الدار، وكنت حابة أتكلم مع حضرتك شوية.

– تحت أمرك يا مدام حكمت، أنا هكون عند حضرتك كمان ساعة، أوكيه.

– تمام فى انتظارك.

لم يمر الكثير حتى جاء سيادة اللواء الذي استقبلته مدام حكمت بترحابها المعتاد حيث قالت: أهلا بسيادة اللواء، معلش إحنا دايمًا معطلينك عن شغلك.

– متقوليش كده يا مدام حكمت، آدم ده أكتر من ابني، وكفاية إنه ابن صديق عمري وأخويا.

– وهو كمان بيحبك جدًا.

– وازي هنا بنت حضرتك؟

– الحمد لله، تمام.

– طيب أنا هادخل في الموضوع على طول.

دلوقتي آدم في تانية ثانوي وكلها سنة ويخرج للمجتمع الخارجي بعيدًا عن الدار، وأنا كنت طالبة من حضرتك إنك تأخذه خميس وجمعة، يتعود على الناس علشان ما يتكسشي أول ما يصطدم بالواقع بره.

– وأنا موافقك جدًا على الاقتراح ده، وممكن ننفذه من النهارده بما إن النهارده الخميس.

صاحت مدام حكمت على إحدى المربيات، ثم أمرتها بحضور آدم الذي بدا على وجهه القلق، وهو يسلم على سيادة اللواء ويحتضنه باشتياق.

اللواء محمود: ازيك يا آدم، واحشني.

– وحضرتك أكتر يا عمي.

– ما شاء الله يا آدم إنت بقيت أطول مني.

اكتفى آدم بابتسامة.. ليعود سيادة اللواء: اوعى تزعل مني يا آدم علشان مش باجي أزورك كتير.. بس إنت عارف أكيد طبيعة شغلي وأنا مش ببقى فاضي.

– لا يا عمي أنا عمري ما ازعل منك أبدًا؛ لأنك أصلًا عمرك ما قصرت معايا.

ربت اللواء محمود على كتف آدم وقال: طول عمر ردك محترم زي أبوك الله يرحمه، وعمومًا يا سيدي بكرة لما تدخل كلية الشرطة وتبقى ظابط أد الدنيا هتقدر غيابي وانشغالي عنك.

– في حياتك إن شاء الله يا عمي.

– طيب ممكن بقى يا سي آدم تروح تغير هدومك، علشان إنت هتيجي معايا تقضي الأجازة، ونخرج ونقضي وقت كويس مع هنا بنتي و...

قاطعه آدم سريعًا: أنا آسف يا عمي أنا مش هقدر أجي مع حضرتك الأسبوع ده.

تعجب اللواء محمود من سرعته بالرد، وقبل أن يسأله عن سبب رفضه، بادرته مدام حكمت مستفسرة: ليه كده يا آدم؟ ديه فرصة هايلة.

– أنا آسف ياماما حكمت.. أنا آسف يا عمي.. مش هقدر أمشي مع حضرتك وأسيب نور وهي تعبانة كده.

هرولت مدام حكمت سريعًا للاطمئنان على نور بعد أن أجابت عن تلك التساؤلات التي بدت على وجه اللواء محمود؛ حيث أوضحت له أن هناك طفلة صغيرة تدعى نور والجميع بالدار يحبها، ويبدو أنها مصابة بالسخونة كعادتها، وحتمًا هذا سبب رفضه.

تبسم اللواء محمود في وجه آدم وقال: خلاص يا سي آدم طالما ليك عذرك، فأنا قابل اعتذارك، بس اعمل حسابك إنك الأسبوع اللي جاي هتيجي معايا علشان هتقضي مع هنا أسبوع في مارينا تمام؟

– حاضر يا عمي هكون جاهز الأسبوع الجاي.

– طيب ممكن بقى يا حضرة الظابط آدم توريني نور ديه.

– طبعًا اتفضل حضرتك معايا، وأنا هخليك تشوفها.

دخل اللواء محمود وآدم لحجرة البنات، ليجد ملاكًا يرقد في فراشه ومن حولها مدام حكمت إضافة إلى ليلى وفريدة التي كانت تجهز لها الكمادات حيث تعجب اللواء محمود من جمالها الذي بدا في وجهها الفاتن، وذلك الشعر المفرود، والمبلل بقطرات عرقها ثم نظر لآدم قائلًا: بس واضح إن مش إنت بس إللي خايف عليها يا سي آدم فيه اتنين تانيين هنا زيك خايفين عليها.

مدام حكمت: في الحقيقة هما الأربعة مش بيسيبوا بعض خالص.

اللواء محمود: على فكرة أنا اتبسطت جدًا من خوفهم على بعض كده، وواضح كمان إنك بذلتي مجهود في إنك زرعتي الحب والود بين الأطفال بالطريقة ديه.

مدام حكمت: الحب ربنا إللي بيزرعه في القلوب يا سيادة اللواء.

اللواء محمود: ونِعم بالله يا مدام حكمت.

خرج اللواء محمود بصحبة مدام حكمت من غرفة نور تاركين معها آدم وليلى وفريدة في وقت قد شعر فيه اللواء محمود بالفضول حول معرفة قصة الطفلة نور تلك القصة التي سردتها له مدام حكمت التي بعد أن انتهت منها سألها اللواء محمود: ازاي حضرتك بتقولي عندها عيلة أُمال فين هما؟ وازاي يسيبوها في ملجأ أيتام؟

ابتسمت مدام حكمت وقالت له: أنا هارد عليك بنفس الرد إللي رديته على عم نور يوم ما جه وجابها هنا، وسألني نفس سؤالك ده.

ثم أكملت: مش لازم كل طفل في ملجأ أيتام يكون لقيط أو ابن شوارع، أو أخلاقه حادة.. أبدًا.. فيه أطفال ممكن يكون ليهم عيلة، وكمان من أغنياء البلد، لكن الظروف هي إللي أجبرتهم يكونوا بين الأسوار ديه.

لحظات من الشرود عاشها اللواء محمود قبل أن يهز رأسه قائلًا: تشبيهك ده فكرني بالناس إللي في السجون، فيه كتير منهم بريء، لكن ظروفهم إللي وصلتهم لكده على الرغم من إنهم أحسن من ناس كتير جدًا خارج الأسوار.

– صدقت يا سيادة اللواء، لكن زي ما يكون كتير من الناس نسيت إن سيدنا محمد كان يتيم، لكنه أفضل مخلوق في تاريخ البشرية.

استمتع اللواء محمود بحديث مدام حكمت كثيرًا، وصوتها المتدين الهادئ الذي يختلف كثيرًا عن صوت البومة خيرية، وهي تنعق: يعنى إيه يا علي عايز عاصم ينزل معاك الشغل؟ ده لسه صغير.

– لأ مش صغير.. أنا كنت أصغر منه، وكنت باشتغل واتمرمط.

– وهو علشان إنت اتبهدلت عايز تبهدل ابني كمان.

– مفيش حد بيحب يبهدل ابنه، إنما كل أب بيحب يشوف ابنه أحسن منه.

– وإنت بقى لما تشغله في سنة ده وهو صغير كده ومتخليهوش يعيش حياته يبقى إنت كده هتخليه أحسن منك؟!

– ومين قالك إني مش هاخليه يعيش حياته؟ أنا بس هاخده معايا فترة الأجازة بالنهار وبالليل وقته معاه يروح مطرح ما هو عايز.

– بس إنت عارف إنه بيتدرب على التنس وعليه بطولة إيطاليا أول الشهر.

– وإيه المشكلة ما يدخل البطولة ولا الشغل يعني هيمنعه؟

– ما هو لو اشتغل مش هيعرف يحضر التدريبات بتاعته.

– إنتي مش شايفة إنك عايزة تحطي أي عراقيل والسلام.. ما ياما ناس بتشتغل وكمان بتدرب وبتاخد بطولات ولا أي حد بيشتغل بيبقى محرم عليه إنه يلعب رياضة؟

– لأ، بس لما بيروح الصبح أخوه بيروح معاه، وسارة وياسمين كمان بيروحوا معاه.

– آه قولي بقى كده يعني الموضوع مش موضوع الشغل ولا موضوع أخوه إللي بيروح معاه، الموضوع الأهم هما بنات أختك.

سكت الحاج علي ليتنهد تنهيدة تحمل كل الضيق وبعدها قال: أنا عايز أفهمك حاجة إنتي مش واخدة بالك منها، إنتي بأسلوبك ده بتبعديهم عن بعض مش بتقربيهم عارفة ليه يا هانم؟ علشان إنتي بتجبريهم على حاجة هما مش عايزينها وبترخصي كمان بنات أختك.

خيرية بصوت مرتفع: يعنى إيه بقى برخص بنات أختي هما ولادك يطولوا أصلًا.

– بالذمة فيه واحدة تقول كده على ولادها! ده أنا بشوف كل الأمهات بتحس إن أي واحدة مهما كان شأنها ومركزها قليلة على ابنها؛ لأنها بتبقى شايفاه حاجة كبيرة ويستاهل الأحسن وإنتي بتقولي العكس.

ثم أكمل قائلًا: عمومًا ريحي نفسك، ولادك دول تربية إيدي وطالعين رجالة أوي، وبنات أختك مش من النوع إللي يستهويهم علشان هما متحررين زيادة عن اللزوم.

– وبنت أخوك طبعًا هي إللي تستاهلهم صح؟

– وهي فين بنت أخويا ما إنتي بعدتيها عنهم، ويا ريت ما تتكلميش في الموضوع ده تاني علشان خلاص الموضوع منتهي، وعاصم هيجي معايا الشغل ومن السنة الجاية هاخد حسام كمان.

تركها الحاج علي، وهي تدور في الغرفة بضيق مثل دبور سائر في عش الدبابير ذلك الاسم الذي عندما سمعته نور في يوم ضحكت كثيرًا مع فريدة قبل أن تنادي على آدم قائلة: آدم.. الحق ليلى.. بتحكلنا رواية رومانسية اسمها عش الدبابير.

لم يضحك آدم! لتعود نور قائلة: مالك يا آدم.. أول مرة ما تقعدش معانا في الجنينة زي عادتك.. إيه إللي حصل؟

اقتربت فريدة وليلى من آدم الذي نطق بصوت هادئ: بصي يا نور أنا النهارده مسافر مع عمي، وعايزك تخلي بالك من نفسك وما تبعديش عن فريدة وليلى خالص مفهوم؟

تسارعت دقات قلب نور وعلت، وكأن خلف ضلوعها تدق أياد كثيرة ثم قالت في حزن: طيب افرض إني تعبت في غيابك؟

ردت فريدة: ما هو إحنا أهو معاكي يا ستي.

وضعت نور أصابعها فوق عينها وبكت وهي تقول: بس عاصم وآدم إللي كانوا بيعرفوا إني تعبانة.. وأهو عاصم سابني.. زي ما آدم برده هايسبني.

ربت آدم برفق على كتفها وقال: لا يا نور، أنا مش هسيبك أنا هرجع على طول متخافيش.

– يعني بجد هترجع تاني؟

– لازم هرجعلك يا نور، وبعدين أنا نسيت أقولك على اسمك الجديد.

– هو أنا ليه اسم تاني؟!

– آه.. اسمك.. نور حياتي.

– اسمي نور حياتك.

– أيوه علشان إنتي أختي الصغيرة وبحبك أوي.

– طيب أنا هافكر في اسم تاني ليك، وأول ما ترجع أنا هقولهولك.

– ماشي يا ستي وديه هدية مني ليكي.

– إيه ديه؟

– ديه قصة حلوة اقريها وعايز أول ما أرجع تحكيها لي ماشي؟

– حاضر أنا هحفظها كلها.

قالتها نور وهي تعض الغلاف بأسنانها حيث ضحكت كل من ليلى وفريدة الذي أوصى آدم كل منهما على صحة نور، كذلك مدام حكمت التي طمأنته أيضًا على ذلك، ولكنه لم يطمئن، فقد تسلل القلق إلى قلبه منذ أول ساعات له بمارينا قضاها دون أن يشعر بالزمان أو المكان، فاقدًا لبعض من حواسه حتى أنه لم يستمع إلى كلمات اللواء محمود حتى كررها مرتين.

اللواء محمود: مالك يا آدم؟ باقولك إيه رأيك في الجو؟

تنبه آدم ورد سريعًا: ها.. المنظر أكتر من رائع يا عمي.

طيب.. أنا عايزك تنزل أنت وهنا المية، وخد بالك منها.. ماشي؟

حاضر.. حاضر يا عمي.

لم يظل آدم كثيرًا بين أمواج البحر، فخوفه وقلقه على نور ما زال جدارًا سميكًا حرمه من الاستمتاع بأي شيء بعيدًا عنها، كما أن هنا

رغم وجهها الجميل إلا أنها متحررة كثيرًا، وذلك عندما تقارن بليلى وفريدة التي تلحقهما تقريبًا في العمر، أما نور فلا وجود لوجه مقارنة بينها وبين هنا، فنور من قامت يده بتربيتها.

– ها طلعتوا بدري من البحر ليه؟ شكلك مش مبسوط من الأجازة.

– لا يا عمى.. كفاية إني معاك، وكمان مع أختي هنا.

– يبقى مفيش غير إن أصحابك في الدار وحشوك.. صح؟

تحول نظر كل من اللواء محمود وآدم على هنا التي ركلت الكرة بعيدًا وجرت وراءها فوق الرمال. بعدها عاد آدم مجيبًا: لا.. يا عمي.. كمان أنا ماليش أصحاب كتير.

رد اللواء محمود بابتسامة ماكرة حيث قال: طيب ونور يا سي آدم إللي كنت هاتموت عليها وهي عيانة.. ورفضت حتى تيجي الأجازة علشانها.

– نور ديه زي أختي الصغيرة.. إللي بخاف عليها جدًا.. كمان ابن عمها كان مواعدني وعد، ولازم أكون أده.

– وعد إيه يا آدم؟

– قبل ما يسافر ابن عمها على إيطاليا، وصاني إني أحافظ عليها، على ما يرجع من السفر ويتجوزها، ويحافظ عليها بنفسه علشان هي ملهاش حد.

اللواء محمود بتعجب أكبر: ابن عمها طلب منك كده؟

– آه والله.. طلب كده.

– وهو ابن عمها ده عنده أد إيه؟

– أدي بالظبط.

– والكلام ده بقاله أد ايه؟

– بقاله كذا سنة من يوم ما نور جت الدار.

– بس يا آدم ده إنتو كنتوا صغيرين ساعتها، فازاي هو أصلًا يفكر أن طفلة ممكن تستني طفل علشان يتجوزوا، ويا ترى ابن عمها ده بيسأل عليها؟

– للأسف مش بيسأل خالص.

– طيب وهي؟

– هي الأول كانت دايمًا فاكراه، بس دلوقتي هي مبقيتش تسأل.

– شوفت بأه يا آدم هو ده إللي أنا بأقولك عليه إن وعد ابن عمها ده وعد أطفال ولا يمكن هيتحقق، بس إنت إللي مكلف نفسك فوق طاقتها وخايف عليها زيادة عن اللزوم.

وقف اللواء مندهشًا من فصاحة آدم.. عندما سرد له أن السبب الأكبر في اهتمامه بنور أنه أكثر الناس شعورًا بها.. كما يشعر المريض بمريض آخر مصاب بنفس المرض، فمن أراد الشعور بنور حقًا عليه أن يتخيل أنه شجرة يتيمة تساقطت كل أوراقها في صحراء تشبه دنيانا الغريبة.

وفجأة لمعت عين آدم، وكأنه شاهد مغارة علي بابا هناك على الجانب الآخر من الطريق ليستأذن عمه سريعًا ذلك الذي ما زال فمه مفتوحًا مثل باب تلك المغارة وذلك إعجابًا بكل كلمة يتفوه بها ذلك اليتيم، ولكن مر حوالي ساعة ولم يخرج من مركز البيع، ليتسلل القلق

إلى قلب اللواء ويصيح على هنا قائلًا: اقعدي على الكرسي، وما تتحركيش يا هنا، على ما شوف آدم اتأخر ليه.

وهناك في مركز البيع وجد آدم يحمل حقيبة تكاد أن تنفجر كالتي يحملها الركاب العائدون من السفر.. اقترب اللواء من آدم قائلًا: إيه ده كله.. إيه ده كله.. وريني كده اشتريت إيه؟

وعندئذ فتح آدم الحقيبة وأخرج الهدايا، وكأنه أمام مفتش الجمارك.. فهذه مجموعة من الروايات من أجل فريدة وليلى، أما هذه العروسة الكبيرة فهي لنور علاوة على هذه الكمية من توك الشعر.

تبسم اللواء وقال: كمان ما نسيتش توك شعرها!

– لا.. لا يمكن أنسى؛ لأن أنا إللي بسرحلها شعرها.. وكتير التوك بتسقط منه.. لأن شعرها ناعم جدًا.

– يا بخت نور بيك يا عم آدم.

قالها اللواء وهو يضع يده فوق كتفه ويخرجان سويًا من المركز، ليتوقف اللواء أمام محل لبيع الملابس، ويحملق في ذلك الفستان الذي تلألأت ألوانه خلف زجاج العرض..

أشار اللواء لآدم على الفستان وتساءل: إيه رأيك في الفستان ده يا آدم؟

نظر آدم للفستان وقال: الله.. جميل أوي.. بس ما أعتقدتش إنه مقاس هنا.

لم يجب اللواء ودخل المحل بينما انتظر آدم بالخارج، وما هي إلا دقائق حتى خرج اللواء بهذا الفستان ثم فتح حقيبة آدم، وقال: ده مش لهنا.. ده لنور يا آدم.

وعندئذ.. أعاد آدم الفستان مرة أخرى ليد اللواء محمود، وكأن هذا الفستان ما هو إلا زجاجة من الخمر.. لا يجوز أن يقبلها أبدًا ثم صاح بضيق: لا لو سمحت يا عمى متجبش حاجة لنور.

صُدِم اللواء من رد فعل آدم حيث هز رأسه يمينًا ويسارًا قبل أن يمد شفتيه للأمام وعاد مستفسرًا: ما جبش حاجة لنور ليه يا بني؟

– علشان أنا معودها على عزة النفس، وإنها ما تقبلش حاجة من حد حتى لو كانت الشئون الاجتماعية، تحت مسمى يوم اليتيم.

– بس أنا يا آدم زي أبوها بالظبط، وبعتبرها زي هنا بنتي لأني كتير أعجبت بطيبتها وبراءتها.

علا آدم من صياحه مرة أخرى: لا، حضرتك مش أبوها.. أبوها مات مات.. وأنا دلوقتي أخوها وأمها وأبوها إللي مربيها على الكرامة وعزة النفس.

سكت آدم للحظات ليعطى فرصة لأنفاسه المتلاحقة ببعضها أن تهدأ ثم عاد: وأنا كمان لولا إن حضرتك بتصرف عليا من الفلوس إللي بابا سابها لي أنا كنت استحالة هاقبل حاجة من حضرتك، لكن الحاجة الوحيدة إللي هاقبلها منك إنك تساعدني إني أدخل كلية الشرطة.

ثم نظر آدم في عيني اللواء وعاد بهدوء: غير كده مش عايز أي مساعدة من حضرتك، لا أنا ولا نور.

ويا له من خجل قد شعر به اللواء محمود وكأنه يمشي وسط سوق ولم يرتدِ سوى ملابسه الداخلية فقط.. ليجد نفسه يعود خطوتين للخلف ويشير بيده أي "خلاص.. خلاص.. هرجع الفستان" بينما وقف آدم بالخارج يلوم نفسه على تلك الطريقة التي تحدث بها مع عمه

اللواء محمود الذي عندما خرج من المحل وجد آدم نفسه يحاول أن يدفن رأسه داخل صدر اللواء ويقول: أنا آسف.. آسف جدًا يا عمي.. ماتزعلش مني.

ربت اللواء محمود على ظهر آدم ثم قال بصوت مزين بالحنان: إنت راجل يا آدم، وعمري ما ازعل منك أبدًا.

يعني بجد مش زعلان مني؟

يا سيدي تحب أثبت لك إزاي إني مش زعلان؟

تديني تليفونك، أتصل بمدام حكمت؛ علشان أطمن على نور.

وهنا ضحك اللواء محمود ضحكة تداخلت مع ضحكات آدم وهو يقول: حاضر يا سيدي.. خد التليفون أهو، اطمن بيه على الست نور.

وقف آدم غير بعيد من اللواء محمود الذي كان يتمعن في ملامح آدم وهو يحدث نور تلك الملامح التي يرتسم عليها السعادة تارة، فربما يعبر عن شوقه لها الآن، وتارة أخرى يرتسم عليها الضيق ربما يحذرها من خطورة فعل شيء ما.. ثم قال لنفسه: ازاي واحد يتيم قدر يكون مربي فاضل بالشكل ده.. آه يا آدم يا ما نفسي أقف وسط كل الناس واضرب ليك تعظيم سلام من حديد.

عاد آدم مبتسمًا ليبادره اللواء قائلًا: ها.. اطمنت على الآنسة نور.. يا عم آدم.

أيوه.. يا عمي.. واطمنت على فريدة وليلى كمان.

آه.. فريدة وليلى إللي بيحبوا القصص والروايات؟

طيب.. دول كمان كنت عايز أجيب ليهم شوية روايات.. بس أنت أكيد مش هاتقبل علشان كده أنا هاحكيلك قصة منهم.. وإنت لما تروح تحكيها لهم.. حلو كده يا سيدي؟

حلو يا عمي.. احكي القصة أنا سامعك.

بيقولك يا سيدي كان فيه يمامة بتحب عصفورة جدًا.. لدرجة إنها اختارت ليها عشها، وكانت كمان بتجيب ليها الأكل لحد عشها.

وبعدين يا عمي؟

وبعدين يا سيدي كبرت العصفورة.. وفي يوم اليمامة اختفت.

طيب وعملت إيه العصفورة؟

اضطرت العصفورة تسيب عشها وتنزل للحياة.. لكن للأسف كانت فريسة لأول صياد يقابلها؛ لأن عمرها ما اعتمدت على نفسها بيوم.

تقصد إيه يا عمي.

أقصد إن قلبك صافي زي اليمامة ديه.. بس لازم نور تخرج من تحت جناحك. علشان تقدر تواجه الحياة من غيرك.

شرد آدم في حديث اللواء محمود، فهو لا يريد رؤية ذلك اليوم الذي يودع فيه نور عند مفترق الطريق، عندما سيصبح فيه كل واحد له حياته الخاصة، بعد أن يصبح كل منهما ما هو إلا ورقة سقطت من فوق غصن لتظهر أوراقًا أخرى عوضًا عن الساقط.

وفجأة.. رن جرس هاتف اللواء محمود إنها ابنته هنا تجلس على الشاطئ قلقة من غياب أبيها، أو ربما من غياب آدم الذي عندما

علمت أنه سيصبح دائم الظهور في حياتها كانت فرحة سعيدة سعادة ربما قد فاقت فرحة عاصم وهو يجلس في مكتب أبيه في أول يوم له بالعمل حيث أمر الحاج علي ابنه عاصم أن يضع إحدى المقاعد في منتصف غرفة المكتب، وبعدها أمر الحاج علي ابنه عاصم أن يقفز من فوق المقعد.

اندهش عاصم ولكنه استعد للقفز عندما صاح أبوه: باقولك يلا اقفز من فوق الكرسي.. من غير ما رجلك تلمسه.. وهنا استعد عاصم للقفز.. واحد.. اتنين.. تلاتة.. ولكن للأسف تعثر عاصم بالكرسي وسقط كرجل أعرج وجد نفسه في سباق قفز الحواجز.

وعندئذ قال الحاج علي: طيب يلا حاول تاني بس نصيحة لازم قبل ما تقفز ترجع شوية للخلف.

وعندئذٍ عاد عاصم خطوات للوراء ثم تقدم سريعًا ليجد نفسه عابرًا لهذا المقعد بكل سهولة.. وبعدها قال: مش فاهم أي حاجة.

تبسم الأب، وقال: عايز أفهمك إنك لازم تبعد في أول حياتك العملية من الكراسي والمناصب علشان ما تقعش بمشاكلها، إنما لو تدرجت علشان توصل ليها هاتعبر مشاكلها بكل سهولة وساعتها هاتبقى الراجل المناسب في المكان المناسب.

– يعني ماكنش فيه طريقة تانية غير إللي تكسر الرقبة ديه علشان تعلمني بيها؟

ضحك الحاج علي ضحكة طويلة مجلجلة، ثم صاح على السكرتيرة لكي يضع لتلك الضحكات حد حيث أمرها: ناديلي الأستاذ جون.

عاصم: مين ده يا بابا؟

– ده مدير مكتبي، وبيتكلم عربي كويس وهو إللي هيعلمك.

عاصم: تمام.

جون: حضرتك بعت لي؟

– أيوه يا جون، ده عاصم ابني الكبير أنا جبته النهارده علشان عايزه يتعلم الشغل بس بشرط.

جون: تحت أمرك يا حاج علي.

الحاج علي: عايزك تشغله الأول في قسم المخازن يشيل بضاعة على كتفه وبعد فترة تنقله بين مكاتب الإدارة.. مفهوم يا جون؟

جون: تحت أمرك يا حاج علي، وأمر عاصم بيه.

وقف الحج علي فجأة وقال في حدة: لا.. أنا عايزك تعامله على إنه موظف عادي له مرتب، وليه كمان خصم لو بدر منه أي غلط، وله مكافأة لو قدر يحافظ على شغله ومقصرش فيه.. فهمتني؟

جون: فهمت.. فهمت يا حاج علي.. تؤمرني بشيء تاني.

الحاج علي: آه.. عايزك ترتب معاه مواعيد تدريباته في النادي، وتخليه يستأذن علشان يحضرها ويرجع تاني.. أما في الدراسة هانشغله نص يوم في الأعمال الإدارية، وكله بحسابه، تمام يا جون؟

جون: تمام يا حاج علي.. كمان استحالة أشغله وقت الصلاة، وهاخليه يحافظ عليها زي باقي المسلمين.

ابتسم الحاج علي وقال: النقطة ديه ماكنتش محتاج أوصيك بيها، لإني عارف إنك بتحترم الإسلام يا جون.. زي ما إحنا بنحترم دينك وكل الأديان.

تبسم جون ابتسامة رضا ثم قال: كده فهمت كل إللي حضرتك عايزه مني.. يا ترى فيه شيء تاني؟

الحاج علي: لا شكرًا تقدر تتفضل وتاخده معاك.

عاصم: طيب أنا كنت عايز أتكلم مع حضرتك في نقطة.

الحاج علي: طيب روح إنت يا جون وأنا هبعته وراك.

خرج جون.

الحاج علي: ها يا عاصم عايز تتكلم في إيه؟ أوعى تقول إنك مش هاتقدر على الشغل أنا فكرتي عنك إنك راجل.

– لا يا بابا أنا عايز أتكلم بخصوص أيام الشغل وقت التدريب والدراسة.

– ها اتكلم يا سيدي. كلي آذان صاغية.

– أنا مش عايز نص يوم ولا حاجة، أنا عايز أشتغل اليوم كامل.

– طيب والمذاكرة، والتدريب! هانعمل فيهم إيه؟ فهمني.

– بالنسبة للدراسة أنا هاستغل إنك وقتها هاتشغلني في الأعمال الإدارية، ساعتها ممكن أستغل أوقات الفراغ في الشغل وأذاكر فيها، كمان أكمل بعد ما أروح من الشغل.

– طيب وأيام التدريب؟

– بالنسبة لأيام التدريب، أنا ممكن اتفق مع الكابتن إنه يخلي التدريبات بعد الظهر عادي خالص.

وهنا تبسم الحاج علي عند رؤيته لثمار رجولة ابنه المبكرة، حيث قال: أنا عارف إنك يا حبيبي أدها، لكن برده مش عايزك تموت

نفسك، يعني لازم تعيش حياتك.. ده من ناحية، ثم التفت حوله سريعًا وكأنه يخشى من وجود شبح لكي يكمل بهدوء: من ناحية تانية بقى الست والدتك مش هتوافق إنك تخلي التدريب بتاعك بعد الضهر، طبعًا إنت عارف ليه؟

من المفترض أن يبدو على وجه عاصم الضيق ولكنه ضحك على طريقه أبيه في الحديث عن والدته وقال: أيوه يا بابا أنا فاهم.. علشان تخلي سارة وياسمين يقابلوني أنا وحسام، رغم إنها عارفة إننا مش بنطيقهم، وكمان بنتهرب منهم.

أطلق الحاج علي ضحكة مدوية حيال أسلوب ابنه وقال له: وليه بس الكره ده كله؟

عاصم: يا بابا دول بنات متحررة أوي، وأسلوبهم مستفز، وبيتعاملوا بكل فخر إن والدهم واخد الجنسية الإيطالية، وكأن الجنسية المصرية ديه عار عليهم مع إنى شايف إن الجنسية المصرية شرف لأي حد.

انتفض الحاج علي من مكانه، ووقف أمام ابنه وربت على كتفه وقال: ربنا يكملك بعقلك يا حبيبي إنت وأخوك.

حيث ذهب عاصم للعمل ليزين لنفسه حياة جديدة، من أجل صورة منقوشة في قلبه كنقوش الفراعنة تُدعى نور التي كان يشعر بها في كل مكان حتى في المخازن، يسمع ضحكتها تعلو بسعادة عندما يرفع فوق كتفه صناديق البضائع، متجاهلًا رنة أخيه حسام على هاتفه، بالرغم من أن قلبه لم يستطع تجاهل تلك الرنة التي كانت تقول: بلادي.. بلادي.. بلادي.. لك حبي وفؤادي، تلك الرنة التي تشابهت مع رنة آدم

عندما اتصل هاتفيا بمدام حكمت وقال بلهفة: ازي نور ياماما عاملة إيه؟ أنا بقالي خمس أيام ما شوفتهاش، بس حاسس إني بقالي سنة.

– نور كويسة يا حبيبي اطمن إنت عليها وخليك في فسحتك.

– طيب ممكن حضرتك تنادي عليها علشان عايز أسلم عليها.

– حاضر يا حبيبي بس أنا عايزة أطلب منك طلب.

– اتفضلي يا ماما.

– عايزاك تقولها تاكل علشان من ساعة ما مشيت إنت ما بقتش تاكل، وخست خالص.

– طيب من فضلك يا ماما نادي عليها بسرعة.

وما أن ذهبت الدادة لتنادي نور، وتخبرها أن آدم على الهاتف، إذ بها تقفز برشاقة، وتهرول بشعرها الناعم الذي كان يهتز بصحبة رنات حذائها الذي يشبه صوت خطوات مهرة بلا قيود، وعندما قابلت كل من فريدة وليلى أشارت ليلى بدهشة عليها وقالت: هاه شوفي نور أول ما سمعت اسم آدم جريت ازاي وسابت سريرها إللي كانت دافنة نفسها فيه بقالها خمسة أيام.

ضحكت فريدة وقالت: طبعًا يا ستي مش توءم روحها.

عندئذ توقفت نور عن الجري وابتسمت، وعادت لفريدة لتقبلها، وتخبرها أيضاً إن هذا هو اسم آدم الجديد، وأخبرتها إن هذا هو اسم آدم الجديد.

نظرت فريدة وليلى لبعضهما دون فهم وقد تساءلت أعينهم: يعني إيه اسم آدم الجديد؟

لكي ترد نور قبل أن تسرع كعادتها وتقول: لما أرجع هاقولكم.

ثم وصلت لحضن مدام حكمت كسيارة خلت من الفرامل، لكي تقبلها مدام حكمت قبل أن تعطيها الهاتف الذي كانت يهتز بيدها من فرط شوقها لآدم الذي حدثها بنفس الشوق: ازيك يا نور عاملة إيه؟

أنا كويسة.. لكن ليه مش بتقولي نور حياتي.

حاضر يا ستي.. ازيك يا نور حياتي.

ازيك إنت يا توءم روحي.

توقف آدم للحظات عند هذه الكلمة ثم عاد متسائلًا: إنتي جيبتي اللفظ ده منين؟ اوعي تكوني قعدتي مع ولاد أو حد ما تعرفهوش.

دون أن تدري مدت نور يدها إلى الأمام وكأنها أرادت أن تضعها على فم آدم قبل أن تصيح كشخص بريء: لا.. لا أبدًا.. ديه فريدة إللي قالت إنك توءم روحي.

ضحك آدم: فريدة وليلى الروايات إللي بيقروها هاتوديهم في داهية.. بس ليه إنتي مش بتاكلي؟

وهنا بكت نور بصوت مخنوق وقالت: أصل إنت واحشني أوي، ومش بعرف أكل إلا لما تكون قاعد في الكرسي إللي جنبي.

شعر آدم بسهم يخترق ضلوعه ويصيب قلبه حيث انتفض واقفًا قبل أن يطمئنها: خلاص يا نور.. هاجيلك النهارده.

– إنت بتضحك عليا.. ماما حكمت قالت لسه قدامك يومين.

– مش عيب تقوليلي إني بضحك عليكي، طالما وعدتك إني هاجي.. يبقى إن شاء الله هاجي.

اشتقت لك بالأمس واليوم مشتاق
وباكـــر إن شـــفتك يزيد اشـــتياقي
لأجلك زاد الحب وزادت الأشواق
الله جمع فيـــك الحلاوة والأخلاق
مثلـــك لـــو دورت مـــا أنـــا بلاق
مســـتحيل أتخيـــل الدنيـــا بـــلاك
أنـــت لي مـــا دام لي قلـــب خفاق

بالطبع قفزت نور لأعلى وكأنها أرادت أن تأتي بنجمة من السماء وقالت لمدام حكمت: شوفتي يا ماما آدم بيقولي إنه جايلي على طول.

أمسكت مدام حكمت الهاتف على التو وقالت لآدم: ليه كده يا آدم تقطع فسحتك يا حبيبي، كمان مش خايف سيادة اللواء يزعل؟

– متقلقيش يا ماما حكمت أنا هافهمه.

– خلاص يا حبيبي إللي تشوفه.

ثم انتهت المكالمة لتنظر مدام حكمت لنور، وبابتسامة عريضة قالت لها: مبسوطة كده يا ست نور.. أهو هايقطع فسحته علشانك.

– أحسن علشان هو وحشنى أوي.

– يا سلام يا ست نور، وإللي بيحب حد مش لازم يحب يشوفه مبسوط.

– مش فاهمة!

– يعني يا ست نور لو إنتي كنتي بتحبي آدم بجد ماكونتيش قلقتيه عليكي، وكنتي أكلتي كويس، ولما يكلمك ماكونتيش تعيطي علشان هو ما يتضايقش ويكمل أجازته.

ارتسم على وجه نور الحيرة ثم وضعت أصبعها على شفتيها الورديتين وسألت: يعني يا ماما أنا كده وحشة وآدم هيبطل يحبني؟

تماسكت مدام حكمت عن الضحك لكي تستطيع أن تقول: لا يا ستي إنتي بالذات آدم عمره ما هيفكر أصلًا إنه يزعل منك.

هللت نور وصفقت بيدها الناعمة قبل أن تقبل خد مدام حكمت وبعدها قالت: طيب بعد إذن حضرتك يا ماما علشان أخلي فريدة وليلى يلبسوني ويسرحولي شعري علشان لما آدم يجي يلاقي شكلي حلو.

مررت مدام حكمت يدها على شعرها وقالتلها: بس لسه بدري على ما آدم يوصل.

– مش مهم أنا هستناه.

– للدرجة ديه بتحبيه.. يا شقية يا كتكوتة إنتي.

– أوي.. أووي.. يا ماما حكمت.

– كمان إنت بتحبها يا آدم.

قالها اللواء محمود وهو يحلل بخبرته حقيقة مشاعر آدم تجاه نور بعدما قال له آدم عن سبب طلبه مغادرة المصيف؛ ليجد آدم نفسه كإنسان بدائي لديه لسان ولكنه لا يستطيع النطق، ثم إنه غارق في بحر من الخجل، ولكن حمدًا لله قد جاءه الدلفين الذي أنجاه من هذا الغرق

إنها هنا التي قطعت كلامهما قائلة: هاي يا بابي بعد إذنك أنا هاخد آدم، وهننزل الميه.

آدم بضيق من أسلوبها: أنا آسف يا هنا، بس أنا لازم أروح أجهز هدومي علشان هنرجع النهارده.

هنا متفاجئة: ليه يا بابي أنا لسه مزهقتش!

اللواء محمود: معلش يا هنا هنعوضها مرة تانية بس أصل جالي شغل مهم.

هنا بضيق: خلاص يا بابي مش مشكلة.

آدم: طيب أنا هروح أجهز هدومي.

غادر الثلاثة المصيف فلم يجد اللواء محمود أي سبب يجبره على البقاء، فقد جاء إلى المصيف من أجل آدم فقط ذلك الحبيب والمربي الذي أراد حتى أن يقربه من ابنته ربما جعل نفسه صديقها الصدوق أو أخاها خاصة في تلك الفترة، إنها المراهقة الذي ظهرت من خلالها ابنته مثل لغة فرعونية لا يفهمها اللواء محمود، أما آدم فهو شامبليون نفسه الذي يستطيع أن يفك أي شفرات وأي رموز، وحتمًا هو من ستترك له ابنته نفسها ليعدل من أخلاقها ويزينها مثل نور التي تركت الآن نفسها لفريدة وليلى لكي تتزين ولكن بطريقة أخرى.. تشبه عروسًا تتزين من أجل عريسها حيث ارتدت فستانها وهمت فريدة بربط حزام ذلك الفستان بينما كانت ليلى تصفف لها شعرها وتتركه على ظهرها لكي تبدو مثل فتاة في إحدى روايات فريدة التي كانت تضحك ضحكات تتداخل مع قهقهة ليلى.. فلم لا؟

فهم يرون طفلة تسبق عمرها بمراحل، ثم إنها تنظر كالمجنونة تارة إلى الساعة وتارة أخرى إلى الباب.. وكلما مرت دقيقة تشير على الباب قائلة: أهو.. هايدخل حالًا أهو.

وبالفعل دخل عاصم، وتنهدت خيرية تنهيدة طويلة ثم أغمضت عينيها بعد أن عاد عاصم من العمل في وقت كانت خالته وبناتها سارة وياسمين في انتظاره.

خالته: ازيك يا عصوم.. عامل إيه يا حبيبي؟

عاصم: الحمد لله يا خالتو.

خيرية: ها يا حبيبي أكلت ولا لسه.

عاصم: آه يا ماما الحمد لله أكلت.

خيرية: طيب يا حبيبي أكيد جوعت تاني، وعمومًا حسام أخوك هو كمان ما اتغداش وسارة وياسمين هما كمان استنوك علشان تتغدوا إنتو الأربعة.

عاصم: يا ماما بقول لحضرتك اتغديت، هكون جوعت ازاي تاني بالسرعة ديه، وبعدين أنا عايز ألحق أغير هدومي علشان عندي تدريب.

سارة: أوكيه يا عصوم إحنا هنستناك علشان نيجي نشجعك وبالمرة نتغدي هناك.

عاصم باقتضاب: يا سارة إنتي لسه سمعاني وأنا بقول إني لسه متغدي، وسمعاني كمان وأنا بقول إن عندي تدريب مش بطولة يعني مش محتاج حد يشجعني.

ثم ترك هذه العصابة سريعًا ليحتمي هناك بغرفته حيث دخل عليه حسام وهو ينفخ كفلاح من أجل إشعال الحطب تحت إناء الشاي وبعدها، قال بضيق: هاه قابلت البرينسيسات تحت؟

عاصم وهو يشد بملابسه كزوجة قد مات زوجها: أنا بصراحة زهقت من تصرفات ماما إللي دايمًا قاصدة تحرجنا معاهم، ومية مرة أقولها إني مش بحب طرق التدبيس إللي بتعملها معايا ديه ومفيش فايدة.

حسام: أنا مش عارف ماما ديه عقلها فين؟ يعنى هى متخيلة إننا ممكن في يوم من الأيام نتجوز بنات زي ديه! إنت شوفت اللبس اللى لابسينه كأنهم مش مسلمين أصلًا ولا حتى مصريين.

– يا بني مش ده إللي يفرق مع ماما أو خالتو، ماما كل إللي يهمها إن ثروة بابا ما تطلعش برة عيليتها خالص لكن مشاعرنا وتربيتنا ومبادئنا ديه متعنيش عندها أي حاجة.

– آه لو تعرف إن نور ليها فى الفلوس ديه، وإن بابا موصينا إننا ما ناكولش حقها مش عارف كان ممكن تعمل إيه.

عاصم: مش بعيد كانت مضت أبوك على ورقة بيع وشراء لأملاك نور ليه وهو مش واخد باله.

– تفتكر كان ممكن تعملها؟

– أنا مفتكرش ده أكيد هي أصلًا إللي مِسَكِّتها إنها عارفة إننا صبيان وفلوس بابا فى الأول والآخر لينا.

– تفتكر يا عاصم نور عاملة إيه دلوقتي؟

كان سؤال حسام بمثابة جرعة من المخدر جعلت عاصمًا يمدد على السرير، وينظر إلى سراب، ولم يستفق حتى همس حسام في أذن عاصم وقال: على فكرة أنا شوفت نور النهارده.

وهنا انتفض وكأن هناك ثعبان مد له رأسه من تحت السرير، ثم أمسك حسام من كتفه بقبضة بدت أنها حديدية وقال: شوفتها ازاي.. انطق.. هي جت إيطاليا؟!

حسام ببرود ثلاجة إيطالية: تدفع كام؟

عاصم: اخلص يا حسام مش وقته.

– شوفتها على موبايل بابا لإني دخلت الصبح كان بيكلمها بس للأسف دخلت في نهاية المكالمة ملحقتش أكلمها، بس شوفت صورتها مديرة الدار بعتتها له.

– وازاي بابا مجابليش سيرة أنا أول ما يجي هقوله.

– بس أنا عملت لك خدمة.

عاصم بضيق: بس بقى خلاص مش عايز أسمع حاجة تاني.

حسام بمكر: طيب ولا حتى عايز تشوف نور لما كبرت شوية واحلوت؟

– إنت معاك الصورة وساكت، وريني بسرعة.

– طيب يا عم بالراحة علينا.

– هات يا عم ده إنت بايخ أوي.

فتح حسام على صورة نور حيث تحول عاصم في التو إلى تمثال لم يتحرك فيه شيء سوى عينيه التي كانت تتمعن بشعرها الناعم

الطويل كطول غربته، وعيناها الصافيتين التي تشبه نهر النيل، وذلك الوجه المتشابه مع وجه الملكة كليوباتره، علاوة على شفاه وردية تبدو من خلفها أسنانًا كلآلئ الفراعنة، فكيف لا يخشى عاصم من غزاة يسعون لاحتلالها.. فكيف لا يخشى من آدم؟

حسام: أنا كمان اتفاجأت، وعملت زيك كده ما كونتش متخيل إنها كبرت وبقيت جميلة بالشكل ده.

لم يجب عاصم ولم يلتفت حتى إلى حسام حتى قال له حسام: تعرف أنا سألت بابا عليها.. قالي إن مديرة الدار طمنته وقالت له: إن آدم مش بيبعد عنها ومهتم بيها خالص.

عاصم في قلة حيلة: يا ترى لسه فاكر الوعد إللي أنا اتفقت معاه عليه؟

قطع كلامهم دخول خيرية والدتهم: إيه يا عاصم مش ناوي تروح التدريب ولا إيه؟ وإنت يا حسام انزل اقعد مع بنات خالتك على ما أخوك يجهز شنطة تدريبه.

أخفى عاصم الموبايل سريعًا كساحر كي لا تكتشف خيرية أنه ما زال يتابع أخبار ابنة عمه، بينما قال حسام بنفاذ صبر: وأنا أنزلهم ليه يا ماما مش كفاية هيروحوا معانا التدريب.

خيرية: ولد إنت بتتكلم كده ليه عليهم؟!

وفجأة دخلت سارة بملابسها التي تشابهت مع ملابس راقصة لا ينقصها فقط سوى أن تضع في أيديها الصاجات حيث قالت: إيه يا عصوم إنت اتأخرت ليه؟

نظر عاصم وحسام لبعضهما البعض بضيق دون أن يجيبها حيث ضحكت خيرية ضحكة مصطنعة لا يقوى على صنعها سواها ثم قالت: هما خلاص يا حبيبتي نازلين يلا إحنا نسبقهم على تحت.

حيث وجد عاصم وحسام نفسهما كلصوص لم يستطيعا الهرب من أياد تتسارع لتمسك بهما.

حتى آدم فقد بدا عليه أيضًا أنه لص عيناه زائغة وقد لاحظت مدام حكمت ذلك حينما جاءها آدم ليسلم عليها فور وصوله لكي تقول له مبتسمة: طبعًا إنت نفسك تشوف نور دلوقتي.

– أنا بس عايز اطمن عليها من ساعة ما سمعتها بتعيط وهى بتكلمني وهي صعبانة عليا أوي.

– متخافش يا حبيبي هي أصلًا من بعد ما كلمتك واطمنت إنك جاي بقت كويسة، روح دخل شنطتك الأوضة وأنا هخلي الدادة تنادي عليها.

– حاضر.

بعد مرور خمس دقائق نادت الدادة على نور التي عرفت مباشرة بوصول آدم فركضت مسرعة ومن خلفها ليلى وفريدة تضحكان عليها، وعندما رأت آدم دارت حول نفسها لتلف بفستانها القصير وشعرها الطويل وقالت له: إيه رأيك في شكلي؟ أنا خليت فريدة وليلى لبسوني وسرحولي شعري علشان أكون نضيفة أول ما تيجي.

انبهر آدم بشكلها الجميل الذي جعلها كفتاة ناضجة حيث قال لها: شكلك جميل أوي يا نور.. بس مين إللي عملك شعرك كده؟

نور: ليلى هي إللي سرحتني.

آدم لليلى: بلاش يا ليلى تسيبيلها شعرها كده تاني.

ليلى بعدم فهم: ليه ده حتى شكلها حلو أوي؟

آدم: بلاش وخلاص.

ثم أمسك يد نور وقال لها: تعالى أنا هلمهولك.

ثم أخرج التوك الجديدة وصفف لها شعرها من جديد.

نور: الله، التوك ديه كلها علشاني.

آدم: آه يا لمضة إيه رأيك؟

نور: ديه حلوة أوي.

فريدة: وإحنا بقى يا سي آدم ملناش نِفس زي نور؟

آدم: لا طبعًا أنا منسيتكوش.

ثم أعطاهم الروايات.

ليلى: والله يا آدم إحنا لو كان لينا أخ ما كانش هيهتم بينا زيك كده، ربنا يخليك لينا.

فريدة: عندك حق يا ليلى؛ آدم ده مفيش منه اتنين.

وفي النهاية دخل آدم غرفته وجلس على مقعده يفكر في نور كمثل عاصم تمامًا، غير أن عاصم انتفض فجأة من على مقعده ليتجه إلى مكتب أبيه مستفسرًا: إنت ليه يا بابا مش بتناديلي لما بتكلم نور؟ وليه مش عايزني اطمن عليها.

– آه، هو حسام قالك.

– أيوه يا بابا، ممكن بقى حضرتك تقولي إيه السبب إنك بتحاول تبعدنا عن نور؟

الحاج علي بضيق: أنا مش عايز أبعدها عنكو.. لكن مش عايزها تتعلق بيكو وخاصة إنت.. لأن ساعتها هتبقى عايزة تيجيلك، وجايز تكره الدار.

ثم سكت للحظات وعاد: كمان مش عايز مشاكل مع والدتك.

– يا بابا إذا كان على ماما، فحضرتك واثق إني مش هقولها أي أخبار عن نور، أما كونها إنها تتعلق بينا وتكره الدار فده مستحيل؛ لأني كنت هحببها فى الدار وهقولها إنها لازم تستنانا لحد لما نرجع.

الحاج علي بأسف: يا بني مش باين لها رجوع أمك مصممة إننا كلنا ناخد الجنسية، ومن قوانين إيطاليا إنه علشان ناخد جنسيتها يبقى نقعد على الأقل عشر سنين على أراضيها منخرجش ولا نسافر أي بلد.

ثم قام الحاج علي من على مقعده وبعجز شديد أكمل: ده أنا حتى في ليالي كتيرة بشوف عادل أخويا فى المنام وهو زعلان منى بيعاتبني ويقولي بقى كده تسيب بنتي لوحدها في الدنيا كده، تفرط فى لحمك وعرضك، وساعتها أقوم مفزوع من النوم وأحس وكأني متكتف.

شعر عاصم بوجع أبيه فحاول أن يهون عليه ليقول: متقلقش يا بابا هانت وهنرجع.

الحاج علي: يا رب يا بني.. الأيام ديه بقى تمر.

وبالفعل مرت الأيام.....

وإنه يوم غير أي يوم إنه يوم مغادرة آدم للدار، بعد أن نجح بالثانوية العامة واستعد لالتحاقه بكلية الشرطة ذلك اليوم الذي قضى فيه آدم معظم ساعاته، يوصي نور على نفسها، بعدم مخاطبة الأولاد

والصلاة، وقراءة القرآن ثم إنه كان يعدها بزيارته الدائمة لها، وإنه لن يصبح أبدًا مثل عاصم وحسام.

وها قد جاءت تلك اللحظة الحزينة التي انتظرته فيها سيارة عمه بالخارج، وتجمعت فيها مدام حكمت ونور، وفريدة وليلى أيضًا في حديقة الدار التي كان يتساقط فوق أرضها الندى من فوق أوراق الأشجار وكأن الأشجار هي الأخري تبكي كالجميع.. ولم لا؟

فالآن سيرحل آدم من رحم الدار الواسع، متجهًا إلى الدنيا الضيقة، وعلى الرغم أن الجميع يثق في زيارة آدم الدائمة.. إلا أن مدام حكمت تقدمت تجاهه وبحركة علا بعدها بكاء الجميع أكثر. أحنت مدام حكمت رأسها وقبلت يد آدم وهي تبكي، أي شكرًا يا آدم على تلك السنوات التي قد أشعرتني فيها أنني أم ربت وأنجبت حيث صرخ آدم على التو ولم يتردد لحظة واحدة في أن يهبط على الأرض ليقبل قدمها، فهي الأم التي قد جعل الله الجنة تحت أقدامها، ولولاها ما وصل إلى ما عليه هو الآن، وعندما أعطى لهم آدم ظهره في طريقه للرحيل إذ بهم جميعًا يلوحون بيدهم وكأنهم يمشون وراء نعشه، ونور تسير بهدوء خلف ذلك الزحام حتى اقترب آدم من الخروج من البوابة وحينها دق قلب نور سريعًا، وصاحت: آدم.. آدم.

ثم هرولت وهو يقابلها لكى يقصر عليها المسافة حيث قفزت هي فوقه ليفتح لها على التو ذراعيه التي كثيرًا ما صففت شعرها وجست حرارتها وقلبت أمامها صفحات القرآن الكريم.

ثم قالت له: أنا آسفة.. آسفة يا آدم زعلي على بعدك عني نساني أقولك مبروك، مبروك يا آدم.

– الله يبارك فيك يا بابا.

قالها عاصم وهو في حضن أبيه بعد خبر نجاحه بالثانوية العامة.

الحاج علي: ها ناوي تدرس إيه.. يا حبيب قلب بابا.

عاصم: هندسة يا بابا علشان هتفيدني مع حضرتك فى الشغل.

خيرية: برافو عليك يا حبيبي، أنا عارفة إنك كنت ناوي تدخل هندسة علشان سارة هي كمان ناوية تدخل هندسة.

عاصم بضيق: يا ماما أنا قولت علشان هتنفعني في شغلي مع بابا مش علشان سارة ناوية تدخلها.

حسام بخفة ظل: طيب أنا ناوي إن شاء الله أدرس محاسبة اوعي بقى تقوليلي ياسمين هي كمان ناوية تدرس محاسبة وإلا تبقى مقصودة بقى.

انفجر عاصم من الضحك عندما شعر أن والدته قد أصابها الضيق حيال سخرية حسام من ابنة أختها.

حسام: يلا يا سي عاصم ورانا شغل قبل ما الدنيا تولع بينا هنا.

عاصم: يلا يا سيدي وأنا كنت معطلك يعني.

خرج الاثنان وتركا والدتهما وهي في قمة عصبيتها.

الحاج علي: قولتلك أكتر من مرة بلاش أسلوب الغصب ده، مش هيجيب معاهم نتيجة إلا النفور من بنات أختك.

– أكيد إنت إللي بتملى دماغهم، مهما طول اليوم معاك في الشغل وبتقدر تسيطر عليهم.

– هما معايا في الشركة آه، إنما مش بشوفهم لإن كل واحد بيكون ملهي في شغله مش فاضين إحنا ولا أنا دماغي فاضية علشان أقعد أجيب فى سيرة بنات أختك.

– يعني إنت تقصد إن أنا إللي دماغي فاضية.

الحاج علي بسخرية: هو أنا جيبت سيرتك إنتي أصلًا، إنا برد على اتهامك ليا إنما مجيبتش سيرتك.

– ماشي يا حاج علي.

تركها الحاج علي هو الآخر، واتجه إلى شركته حيث ذهب تفكيره هناك إلى مصر وتحديدًا في ابنة أخيه نور التي تعيش هذه الفترة في حالة اكتئاب، وحيدة على الرغم من أن الجميع حولها، فآدم كان عينها التى تبصر بها فإن راحت هذه العين فكيف ترى وتشعر بمن حولها حيث كانت تتذكره كل يوم وهي في طريقها للمدرسة، فمن كان يمسك بيدها من أجل عبورها الطريق؟ ومن كان يأمرها بتلبية نداء الصلاة؟ ومن... ومن... ومن...؟ هو فقط آدم الذي لم يستطع زيارة نور في أول ٤٥ يوم الأولى بالدراسة لمنعه فيهم من أي إجازة حيث كون صداقة مع أحد زملائه ويُدعى سامح، ولم يخجل آدم في أن يقص على سامح تربيته في دار الأيتام، علاوة على قصته مع نور، وأيضًا قد قص سامح لآدم عن نفسه، وأنه من الصعيد الجواني، ولن يستطيع السفر لزيارة أهله ويعاود في اليوم التالي لذا قررا أن يؤجرا شقة يقضيان فيها إجازتهما لحين انتهاء الدراسة.

وأخيرًا.. انتهت أول ٤٥ يوم الأولى وحصل آدم على أول إجازة له.

سامح: إنت هتعمل إيه دلوقتي.

– يا بني وهي ديه فيها كلام، هروح طبعًا على الدار، وهطمن على نور وفريدة وليلى.

– يعني هتقضي معاهم اليوم كله.

– آه.

– طيب خلاص هتعمل إللي اتفقنا عليه؟

– آه طبعًا.

وصل آدم للدار، وفور وصوله لمح نور خارجة من مكتب مدام حكمت، وبصوت هادئ نادى عليها: نور حيااااتي.

تسمرت لوهلة لم تتحرك فيها سوى يدها التي تحسست بها وجهها، من هذا الذي ينادي عليها؟ أهو آدم أم أنها تحلم؟!

اتجه آدم نحوها ولكنها هرولت تجاهه لتقطع المسافة التي ابتعدت ٤٥ يومًا بينها وبينه.

أمسكت نور يده بقوة لا تتناسب مع يدها الرقيقة الضعيفة وقالت: آدم إنت وحشتني أووووي.

– وإنتي أكتر يا نور.

– إنت شكلك حلو أوي فى البدلة.

– ها يعني هتفتخري بيا.

صوت من خلفهم: مش نور حياتك بس إللي بتفتخر بيك إحنا كلنا بنفتخر بيك.

التفت آدم لصاحبة الصوت فوجدها مدام حكمت، ومد يده لها

إلا أنها احتضنته قبل أن تقول: إيه يا سي آدم إنت هتعمل نفسك كبرت عليا، وبقيت ظابط ومش هتيجي في حضني ولا إيه؟

نور بسعادة: أنا هروح أنادي فريدة وليلى دول هيفرحوا أوي.

بعد دقائق جاءت كل من فريدة وليلى وتزاحم الجميع من أجل التقاط الصور مع الضابط آدم الذي كان يمسك نور من يدها لتظهر في جميع الصور قبل أن يقول لها: تعالي بقى يا ست نور نهرب من الناس ديه، وأفرجك أنا جبتلك إيه.

ثم تباعد آدم و نور من هذا الزحام حيث أخرج لها عصائر الأناناس، والعديد من التوك المختلفة الألوان، ولم ينس أن يصفف لها شعرها كما كان يفعل من قبل.

والحقيقة.. لم تفرح نور بتلك الهدايا، بقدر ما كانت فرحة بعودته ووفائه بوعده حيث أيقنت أنه مهما طال غيابه فإنه سيعود كما تعود شمس الدنيا للنور بعد زوال سحب الفراق؛ ذلك الفراق الذي اختاره عاصم وحسام وعمها أيضًا.

– عمها مين يا عم ده.. لو كان عايز يرجع كان رجع من سنين.

قالها سامح لصديقه آدم الذي كان يحدثه عن شعوره باقتراب عودة عمها وابن عمها عاصم الذي عاهده يومًا ما بذلك العهد، ويا له من اهتمام فاق الحد بتلك الطفلة لذا تسلل الشك إلى قلب سامح حيث وجد نفسه يتساءل: إنت إيه شعورك من ناحية نور.. يا آدم؟

تبسم آدم ابتسامة أراد بها أن يمحو الشك الذي شاهده على وجه سامح وقال: ديه مش أكتر من أخت يا سامح، ومش أي أخت؛ ديه طفلة ربيتها على إيدي.

لم يصدقه سامح، فهو مؤمن تمامًا أن حب الصداقة، والأخوة ما هي إلا طرق عديدة تصل إلى ميدان شاسع اسمه الحب؛ لذا أراد سامح أن يرى تلك الطفلة التي يخبئ آدم عن كل الناس أنه يعشقها لذا قال له: أنا عايز أجي معاك أزورها وأشوفها.

– فيه إيه يا عم مالك ومال أختي؟

– برده أختي، ماشي برده عايز أشوفها.

– خلاص أنا مواعدها إني هعدي عليها بكرة قبل ما أرجع الكلية هاخدك معايا.

قطع حديثهما اتصال من اللواء محمود.

آدم: آلو ازيك يا عمي.. أنا الحمد لله.

– إنت مجتش ليه يا آدم؟ أنا استنيتك اليوم كله.

– معلش يا عمي أنا أصلي روح...

قاطعه اللواء:

– طبعًا روحت لنور.. صح؟

– فعلًا يا عمي.

– طيب المهم.. إنت فين دلوقتي؟

– أنا في البيت، أصل اتفقت أنا وسامح صاحبي إننا نأجر شقة ننزل فيها كل أجازة و...

قاطعه اللواء محمود بحدة وصاح: إنت بتتكلم ازاي يا آدم! طول ما أنا موجود مسمعش تقول إنك نازل فى شقة إيجار تاني.. إنت فاهم؟ وبيتي هو بيتك، انتهى الكلام.

– أنا آسف يا عمي.. اعذرني بس أنا مش هقدر أجي أعيش مع حضرتك.

أدرك اللواء سبب رفض آدم، لا بد أنه خجول من وجود هنا، لكي يخبره أنه بدءًا من الأسبوع القادم سوف يشتري له شقة، وسيتم تجهيزها على أكمل وجه، وأخبره اللواء محمود أنه ليس فضلًا عليه، بل هو من خير أبيه وأمه التي طالما أكل من يدها ولم يشعر بأي نقص في ظل وجود والديه رحمهما الله، ثم شكره آدم وأظهر له حقيقة مقامه الرفيع، ومجهوده وعنائه معه كل هذه السنوات.

وفجأة! تسمر آدم أمام صديقه سامح بعد أن دعاه عمه لتناول وجبة الغداء معًا قبل ميعاد الكلية، وعندما شعر بوجود نور أمامه تبكي غيابه قال: مالوش لازمة يا عمي.. أصل.

– لا أصل.. ولا فصل.. الكلام منتهي.. يلا نتقابل بكرة.. سلام.

نظر آدم لسامح بغل مصطنع وقال له: قريت فيها يا نحس، أديني مش هلحق أقعد مع نور.

– يعني إنت أصلًا ناوي برده تروحلها حتى بعد ما عمك عزمك.

– طبعًا طالما وعدتها يبقى لازم أروح.. بس أنا زعلان لأني مش هلحق أقعد معاها.

– ليه يا آدم! هو إنت زهقت خلاص مني؟!

كان هذا ما قالته نور عندما أخبرها بأن وقته قصير، وذلك فور وصوله وقبل أن تستفسر نور عن ذلك، مد سامح لها يدّه بالسلام، وهو ينظر لتلك الطفلة التي شاهدتها عيناه كملاك ناضج، ولكنها لم تمد له يدها وتركته هكذا كشحاذ، يلتفت سريعًا لمن حوله، بينما هي انكمشت

في آدم وكأنها تواجه ثلوج الشتاء، وحينها تحشرج صوت سامح وقال لآدم: إيه يا عم آدم.. مش ناوي تأذن لها تسلم عليا؟

رد آدم: لا، مش ناوي.. علشان هي مش بتسلم بأيدها على ولاد.

سحب سامح يده سريعًا عندما شاهد قدوم فريدة وليلى التي قالت لآدم: ازيك يا آدم.. أخيرًا وصلت؟.. أصل الست نور مصحياني من الفجر علشان نستناك!

بادره سامح: ياه من الفجر! واضح إن نور هي كمان بتحب آدم زي أخوها.

نظرت ليلى لسامح بدهشة وقالت: تقصد إيه؟.. مش فاهمين يا حضرت.

سامح: لا أبدًا مقصدتش حاجة يا حضرت.

ثم أكمل: يا حضرة العمدة ابنك حميدة حدفني بالستفندية.

لتضحك ليلى بهدوء قبل أن تأتي مدام حكمت قائلة: أهلًا يا آدم.. يا حبيبي.

أشار آدم على سامح: أقدملك سامح يا ماما حكمت زميلي بالكلية.

مدام حكمت: أهلًا يا بنى.

ثم غادرت مدام حكمت بعد وقت قصير لتباشر عملها بالدار تلك التي جلس كل من آدم ونور وفريدة علاوة على سامح وليلى وسط حديقتها في وقت كانت الأطفال تلهو من حولهم.. مما دفع سامح يشير لليلى أنه منذ دخوله إلى هنا لم يشعر أبدًا أنه في ملجأ للأيتام،

وكأن كل هؤلاء أصحاب بيت واحد وعائلة كبيرة، وليسوا أيتام.. لكي تبادله ليلى الحديث مضيفة أن حب هؤلاء الأيتام لبعضهم البعض وتلك الروح التي تسودهم ما هي إلا أشياء تلهيهم عن آلام اليتم التي ما زال يشعر بها كل طفل من هؤلاء.

بدا على وجه سامح التأثر بحديث ليلى، وما هو إلا وقت قصير حتى اندمجا في الحديث مع بعضهما البعض، وكأنهما فقط من يجلسان وحدهما على تلك الترابيزة، وقد صمت آذانهما عن أي ضحكات، وأحاديث تصدر من حولهما حيث احتل سامح الإعجاب بحديثها، وتلك الصراحة والوضوح بعد أن سردت له عن ظروف والدتها، ودخولها السجن بسبب ديونها، وليس بسبب آخر كالسرقة أو القتل؛ لذا شعر سامح بقشعريرة بجسده، حينما أشار له آدم الذي وقف قائلًا: نستأذن بقى إحنا يا نور.

نور: للدرجة ديه عمك أهم مني يا آدم؟

آدم: مش ديه الفكرة يا نور.. كمان أنا أهو جيت واطمنت عليكي، وأوعدك يا ستي الأجازة الجاية.. هاقعد معاكي أكتر.. ماشي؟

نور وهي ترفع يدها جانب رأسها: تمام يا حضرة الظابط.

– معقولة يا عمي! إنت إللي هاتديني أنا تعظيم سلام؟!

ابتسم اللواء محمود لدهشة آدم وخجله وقال: أيوه طبعًا؛ لأنك مش كتير بتوفي بوعدك، وتجيني يا حضرة الضابط.

ويا له من وقت ممتع قضاه آدم مع اللواء محمود خاصة أن هنا ابنته لم تكن بالبيت، وبعدها ذهب إلى الكلية.. وفي الليل بدأ سامح الحديث معه:

– تعرف يا آدم أنا لما جيت معاك شوفت حاجات ما كونتش متوقعها، واتغيرت فكرتي عن أطفال الملاجئ، ولقيتها مش زي ما كنت متخيلها خالص.

– ما أنا أخدت بالي إنك رغيت مع ليلى كتير.

– ديه طلعت بنت ممتازة و...

قاطعه آدم بمكر: على فكرة أنا مش محتاج تقولي الكلام ده، ولا نسيت إني متربي معاها؟

– بجد إنت غلس أوي.

ضحك آدم: الظاهر إنك هاتيجي معايا كل زيارة.

– آه طبعًا.

– طب يا سيدي خد بقى النصايح ديه.

ثم أوصى آدم ضاحكًا صديقه سامح بشراء القصص والروايات الرومانسية، وكتب الشعر أيضًا، ليتحمل سامح ذلك الحمل بدلًا منه، ليغتاظ سامح دون أن يجد شيئًا يغيظ به آدم سوى أن تنهد سامح، وقال وكأنه عاشق ولهان: بس تعرف يا آدم نور ديه أجمل بكتير عن ما وصفتها لي، وآه ديه لما تكبر شوية هاتبقى...

قاطعه آدم بضربة قوية بالوسادة ليضحك سامح قائلًا: يا عم أنا بهزر، نور ديه زي أختي، وعلى فكرة أنا صادق أوي وأنا بقول زي أختي، مش زي ناس، يلا تصبح على نور.

ثم تمدد سامح على السرير، وهو يغني أغنية أم كلثوم الشهيرة ودارت الأيام.. ومرت الأيام والشهور وتكررت زيارات آدم وسامح

للدار كل إجازة وارتبط سامح جدًا بليلى، وتبادلا الإعجاب، كما كان يهديها الروايات والأشعار حيث انتقل سامح مع آدم لشقته الجديدة التي اشتراها له اللواء محمود الذي حاول خلال هذه الفترة أن يقرب آدم من هنا ابنته التي بدأت تنجذب بالفعل لآدم ربما لأنه يتجاهلها كثيرًا في الوقت الذي تعودت فيه على اهتمام كل من حولها.

بينما بدأ عقل نور ينضج أكثر من ذي قبل، كما أنها أصبحت تحلم بالرومانسية التي سمعتها كثيرًا من روايات فريدة وليلى التي طالما تحكي عن إعجابها بسامح، وأنها بدأت تشعر بطرقات حبه تطرق على أبواب قلبها، لذا أصبحت نور تقرأ الأشعار يوميًا والروايات التي نمت من أسلوب تفكيرها كما ارتفع لديها المشاعر والأحاسيس علاوة على رأيها الذي تحترمه ليلى وفريدة في إشادتها وانتقادها على بعض الروايات، أما آدم فكان يتجه للدار دومًا ليطمئن على نور، ويذاكر لها دروسها على الرغم من أنها كانت تطلب منه أن يريح نفسه.

– ازاي بقى أريح نفسي! يا بابا ديه بنت عمي عايز اطمن عليها.

هذا ما صدر من عاصم بلهجة تحمل كل الضيق، بعدما تجاهل أبوه سؤاله الذي بدا منه قلقه على نور، ولكن حن قلب أبيه عند رد فعل ابنه ليعود قائلًا: اطمن يا عاصم هي بخير، وبتتعلم كويس وبتصلي، وأخلاقها زي الفل.

– طيب أنت بتكلمها كل أد إيه.. وبتبعتلها فلوس ولا لأ؟

وهنا ارتسم على وجه الحاج علي الحزن وكأنه شوارع القدس ثم قال بصوت مريض: أنا ممكن أكون غلطت لما سمعت كلام أمك وسيبتها، بس ده مش معناه إني بني آدم ميت يا عاصم.

ثم نظر بحدة في عين عاصم وأكمل: ديه برده بنت أخويا. فاهم يعني إيه بنت أخويا.

ثم تنهد الحاج علي تنهيدة طويلة أخرج من خلالها الهواء المحبوس في صدره ليعود هادئًا: وعمومًا ما تقلقش أنا بكلمها كل فترة ومصاريفها ببعتها باسم مديرة الدار وهي بتصرفها من البنك وبتصرف عليها.

– وآدم؟؟؟

– ماله آدم؟ مش فاهم سؤالك!

– لا إنت فاهم يا بابا أنا عايز أعرف هو لسه فى الدار مع نور ولا لأ؟

– لأ لأ.

– ليه؟ راح فين؟! ده هو الوحيد إللي كان مخلي باله منها.

– اممم هو أخوك قالك؟

– آه يا بابا، بس أنا كده قلقت عليها وعايز اطمن.

– اهدى اهدى يا عاصم.. آدم لسه مخلي باله منها.

عاصم بضيق: بالذمة هو ده ينفع يعني تبقى بنت عمي ولحمي واسيبها لواحد غريب ياخد باله منها؟!

– إنت مالك النهارده؟!

– أنا عايز أسافر أشوفها.

– بس إنت لو سافرت مش هتاخد الجنسية، وهتضيع على نفسك السنين إللي فاتت.

– ما أنا هاخدها بالتبعية منك طالما إنت هتاخدها هو أنا مش ابنك برده؟

– آه طبعًا ابني وفعلًا هتاخدها بالتبعية.. بس افرض إن أنا مت قبل الوقت ده هتعمل ايه؟

– طول العمر ليك يا بابا.. بس لو ده حصل ألف بعد الشر يعني.. أنا مش هاخد الجنسية، وهارجع بلدي، واخد بالي من بنت عمي.

– كلامك ده قلقني يا عاصم مريحنيش يا بني... معنى إنك عايز تستقر بمصر وتنهي الشركات هنا معناها إنك هاتقفلها بطريقة كلها خسارة.. زي واحد بيبيع شقته بأي تمن علشان مهاجر.

ثم وضع الأب يده فوق كتف ابنه وأكمل: وساعتها بقى يا عاصم هاتبقى دمرت مستقبل أخوك وفرط في حق أمك إللي فكرت كتير في قرارها لقيته المرة ديه صح مية في المية.

والحقيقة ليس هذا السبب الوحيد في رفض الحاج علي سفر ابنه لمصر.. بل هناك سبب أقوى معروف، وهو حب نور لآدم الذي أدركه الحاج علي من خلال مدام حكمت، أجل نور تحب آدم ذلك الفتى الذي فعل ما لم يستطع الحاج علي فعله.

ولكن هل رد الجميل لآدم هو تدمير قلب ابنك يا حاج علي؟ لِمَ جعلت نفسك سدًّا منيعًا بين نور وعاصم؟ لِمَ لا تعطي لابنك الفرصة في الدفاع عن حبه؟ فربما كان النجاح حليفه، ربما اكتشفت بعد ذلك يا حاج علي أن حب نور لآدم ما هو إلا سراب.

فعندما نفقد ما نحبه.. يتهيأ لنا أننا أحببنا ما وجدناه.. اتركه ياعلي ولا تفعل كما تفعل بعض الحيوانات عندما تأكل أولادها حفاظًا عليها من مواجهة المخاطر!

كان ذلك ما حدَّث به الحاج علي نفسه وهو شارد في وجه عاصم قبل أن يعود مرة أخرى قائلًا: أنا عندي حل وسط يا عاصم ممكن تسمعه؟

عاصم بلهفة: اتفضل.. اتفضل يا بابا.

– في الوقت المناسب هتسافر إنت وأخوك في أجازة صغيرة لمصر تطمن فيها على نور.. لكن بشرط يا عاصم.

عاصم بفرحة: أنا موافق علي أي شروط يا بابا من غير ما أسمع.

لا لازم تسمع.. إنت هاتوعدني.. إني لو مت قبل العشر سنين.. تيجى إنت وأخوك علشان خاطر الجنسية.. إللي هاتديكوا فرصة كبيرة في توسيع شغلكو.. هاتوعدني يا عاصم؟

عاصم بدون تردد: أوعدك.. أوعدك يا بابا.

وهنا نظر الحاج علي في عين ابنه وقال بصوت هادىء: خلى بالك يا عاصم لو حاولت تخلف وعدك معايا.. هتلاقي إللي هايخلف وعده معاك.. فهمت يا عاصم.

– فهمت.. فهمت يا بابا.

– بس اوعى تنسى إنت بس وعدك يا بابا.

تبسم الحاج على: لا يا سيدي مش هانسى.. وهارتب ليك الفسحة كمان إنت وأخوك ها مبسوط يا عم؟

عاد عاصم لموقع عمله فرحًا وكأنه نجح مرة أخرى بالثانوية العامة.. لا ينقص من الأمر شيئًا إلا أن يستمع لأصوات من حوله تتداخل مع بعضها بسعادة.

وتقول له: مبروك.. ألف مبروك.

قالتها أيضًا نور لليلى وفريدة وهي تحتضنهما بعد أن مرت السنوات ونجح كل منهما بالثانوية العامة.. ولكن لِمَ لا تبدو السعادة على وجه كل منهما؟!

لذا تساءلت نور: مش مبسوطين ليه.. مالكو.. أنا مش فاهمة حاجة.. إنتو مش فرحانين إنكو هاتدخلوا الجامعة ولا إيه؟!!

ليلى: جامعة إيه بس يا نور.. يعني إنتي مش عارفة؟

نور: لا مش عارفة.. عرفيني إنتي.

فريدة: بصي يا نور ماما حكمت بتصرف على الدار ديه من فلوسها.. وقليل جدًا إما بتقبل تبرعات.. ومش من أي حد.

نور: برده مش فاهمة.

ليلى: يعني يا نور إحنا آخرنا الثانوية العامة؛ لأنها مش هاتقدر تصرف علينا أكتر من كده.. فهمتي؟

نور بقلق: يعني أنا كمان مش هاقدر أكمل تعليمي؟

فريدة: يا نور.. إنتي قلقانة من إيه.. إنتي لسه في إعدادي.. يمكن يكون عمك جه من السفر.. إنما إحنا غيرك.

ليلى: أنا ممكن ما ادخلش السنة ديه، وماما خلاص هتخرج خلال كام شهر، وساعتها هخرج من هنا.. وأقدم في أي كلية.

فريدة بحزن: يا بختك.

أشفقت نور كثيرًا على حال فريدة وليلى، واتجهت لمكتب مدام حكمت لتقص لها عن حالهما لترد عليها مدام حكمت.

وتقول: طول عمرك قلبك طيب يا نور.. فيكي الخير يابنتي.. وعمومًا أنا ميهونش عليا إنهم ما يكملوش تعليمهم.. أنا كنت بافكر في طريقة تساعدهم في المصاريف، ولقيتها خلاص.

بجد يا ماما؟

أيوه بجد يا قلب ماما.

وبعدها ذهبت مدام حكمت لليلى وفريدة بصحبة نور وأخبرتهما أنها وجدت حلًا لتلك المشكلة، فقد وافق أحد من معارفها في أن يعملا معه بشركته في أعمال إدارية لكي يصبح لهما راتب شهري يعينهما على مواصلة تعليمهما الجامعي تحت رعاية الدار أيضًا.

الغريب أن كلًا من ليلى وفريدة، كانتا تتمنيان الخروج من هذا الملجأ بفارغ الصبر على الرغم من عطف وحنان مدام حكمت عليهما، فيكفي أن اسمه ملجأ، وكل من بداخله هو خارج نطاق المجتمع، ولكن إلى أين ستذهبان؟ وكيف تكمل كل منهما تعليمها؟ لذا كان ألم الملجأ، أفضل لهما من التشرد بالخارج ذلك التشرد الذي أنقذتهما منه مدام حكمت التي تسابقت كل من ليلى وفريدة لحضنها وكل منهما تدفع الأخرى بيدها لتطبع قبلاً أكثر على وجنتيها.

قالت مدام حكمت وهي تضحك: خلاص.. خلاص.. يلا بقى نستعد كلنا للحفلة إللي هانعملها لآدم هنا في الدار، ولا إنتو نسيتوا إنه خلاص هايتخرج الأسبوع الجاي.

صاحت نور: أيوه كده؛ أهو دلوقتي نقدر نحتفل بنجاحكو، وبتخرج آدم من كلية الشرطة، لكن ده أنا نسيت أسأله اخترت أي قطاع.

– قطاع الأمن المركزي يا عمي.. أما سامح فاختار قطاع أمن الدولة.

كانت هذه إجابة آدم على سؤال اللواء محمود الذي عاد يتساءل: اشمعنا يعني قطاع الأمن المركزي يا آدم؟

– لأن القطاع ده دايمًا بيحمي الشعب بكل فئاته من غير أي تفرقة بينهم، فالكل واحد والهدف برده واحد، وهو الحماية أولًا وأخيرًا.

– ربنا يكملك بعقلك يا بني.. كنت واثق إنك هاتختار القطاع ده بالذات.. لكن سامح اختار قطاع أمن الدولة ليه؟

– سامح اختار القطاع ده بالذات علشان يقدر يتدخل ويحل مشاكل الثأر و يوقف نزيف الدم إللي ببلدهم.

– بصراحة أنا كل يوم بيزيد إعجابي بيكو إنتو من الشباب إللي الواحد لازم يفتخر بيهم.

آدم بامتنان: شكرًا يا عمي لذوق حضرتك.

– شكرًا على إيه يا آدم.. ده إنت ابني.. يعني أنا أكتر واحدة سعيدة باليوم ده.. آه أنا ونور.

كان هذا رد مدام حكمت عندما شكرها آدم على إقامتها لحفل تخرجه على نفقتها الخاصة في حديقة الدار التي علت فيها أصوات الموسيقى وتراقصت فوق أغصان أشجارها الأنوار، وبدأ المدعون بالتوافد ومن بينهم اللواء محمود وهنا ابنته التي كانت تنظر لنور بغل وهي تضع يدها في يد آدم، وهما يمران سويًا على جميع المدعوون، وكأن هذه الليلة لا علاقة لها بحفل التخرج بل إنها حفل خطوبة تلك الفتاة والضابط آدم؛ لذا تقدمت هنا نحو آدم ووضعت

يدها على كتفه قائلة: إيه يا حضرة الظابط إنت مش ناوي تخليك معانا شوية؟

شعرت نور بالضيق وكأنها في غرفة مغلقة في يوم حار.. خاصة عندما تجرأت هنا على مسك يد آدم لتتجه به بعيدًا عنها.

لاحظت فريدة دموع نور تتلألأ داخل عينها؛ لتقول: هي مين الغلسة ديه؟

لم تجب نور، وظلت تتابع رد فعل آدم الذي قال لهنا بشيء من الضيق: لو سمحتي يا هنا سيبي إيدي.. كده حرام وبعدين الناس تقول علينا إيه؟

هو أنا عملت حاجة غلط؟!

أيوه يا هنا.. ما ينفعش تمسكي إيدي من الأساس، وما ينفعش أصلًا كده تسحبيني قدام الناس.

لاحظ اللواء محمود الحزن الذي بدا على وجه نور، ولكنه بنفس الوقت أراد أن يقرب هنا من آدم ربما استطاع أن يصنع من ابنته صورة أخرى لنور التي تقدم نحوها اللواء محمود ومد له يدها بالسلام وقال: أنا قولت إنك نسيتي شكلي يا نور.. علشان كده ما سلمتيش عليا.

لم تمد له نور يدها بل أخبرته أن آدم قد علمها عدم مصافحة أي شخص غريب لان ذلك يخالف أوامر الله حيث أشار لها اللواء أنه ليس بغريب، بل هو بمثابة والد آدم ووالدها أيضًا، فلم كل هذا الحذر يا نور؟

ولكن لا فائدة، فقد تركته وذهبت بعيدًا؛ لتجد أحد الأطفال يضع يده على ظهرها محاولًا دفعها معه للأمام.

شاهد آدم هذا الطفل بينما لم تشعر نور بأي شيء وهي تسير معه، فهي مشغولة بتلك الفتاة التي استحوذت على آدم حيث أزاح آدم يد الطفل عنها وقال لها بضيق: إيه ده ازاي تخليه يحط إيده على ضهرك؟

استفاقت نور على صياح آدم ولكنها لم تع ما يقوله ولكنها ضحكت ليعود آدم بعصبية: بتضحكي على إيه؟ بقولك ازاي تسيبيه يحط إيده فوق ضهرك؟

نور مندهشة: هو كان حاطط إيده على ضهري.. والله ما كنت حاسة.

ماكنتيش حاسة! ومش حاسة كمان إن شعرك مفرود؟

وعندئذٍ تلفت نور حول نفسها لمجرد الشعور بأن آدم ما زال يخاف عليها، وعندئذٍ جاءت هنا قائلة: بتعمل إيه يا آدم؟ يلا تعالى علشان تروحني.

آدم: ليه مش هتروحي مع عمي؟

هنا: لا، بابا قال لي إنه عنده شغل، وقال لي خلي آدم يوصلك.. يلا بقى.

ثم سبقته، واستأذن هو نور التي شعرت هذه المرة أن آدماً لم يصبح لها، وربما لن يعود مرة أخرى، فقد ترك الدار وأصبح ضابطًا له عمل وحياة مستقلة؛ لذا نادته بلهفة: توءم روحي.

آدم: نعم.

لم تجب نور.

آدم: مالك يا نور حياتي؟ إنتي فيه حاجة تعباكي؟ مالِك النهارده كده مسهمة؟

نور باستفهام حزين: توءم روحي إنت هتبقى ترجع تاني ولا خلاص هتنساني؟

آدم: أنساكي!! ليه بتقولي كده يا نور.. هو أنا عمري نسيتك؟

نور بخوف: بس النهارده.. أنا حاسة إنك خلاص نسيتني.

آدم بقلق على حالها: نور حياتى.. إنتي مالك النهارده؟ فيكي حاجة غريبة أنا مش فاهمك؟!

هنا من بعيد: يلا يا آدم.

آدم: نور حياتي أنا هقعد ٤٥ يوم فى معسكر التدريب إللي هستلم شغلي فيه ومش هاعرف أجي أشوفك، ومش عايز أسيبك وإنتي بالمنظر ده، وأول ما ينتهوا ال٤٥ يوم هجيلك على طول، اتفقنا؟

أومأت نور برأسها حزينة – أي اتفقنا –.

ظلت نور منكمشة على نفسها في ظل غياب آدم بينما كانت كل من ليلى وفريدة يطمئنانها دائمًا، كما كانا يقصان عليها طبيعة العمل الجديد والمواقف الطريفة التي تعرضا لها في بداية عملهما قبل أن يأتي يوم قالت لها ليلى فيه: أهو النهارده بالذات مش عايزة نكد؛ لإن سامح كلمني النهاردة وصارحني بحبه... كمان وعدني إنه هيتقدم ليا قريب أوي بعد ما ماما تخرج من سجنها.

لم تكن ليلى تعلم أن السعادة قصيرة مثل ليل الصيف والحزن أطول من ليل الشتاء، فلم يمر أسبوع حتى استقبلت مدام حكمت عسكري يخبرها أن والدة ليلى قد توفاها الله.

لم تجد مدام حكمت الطريقة المناسبة التي تمهد لليلى هذا الخبر الصادم حيث اتجهت نحو غرف البنات وعيناها تدمع، وعندما شاهدتها ليلى شعرت بقبضة في قلبها إنها تنظر إليها بحزن إذن فهي المقصودة بالشفقة من مدام حكمت، بادرتها ليلى قائلة: اوعي يا ماما حكمت تكوني جاية تقوليلي إن أمك جرا ليها حاجة.. أنا من زمان ما شوفتهاش.. كتير أوي يا ماما حكمت.. مرضيتش تخليني أزورها علشان ما شوفهاش محبوسة ومكسورة!

هرولت عليها فريدة واحتضنتها بينما وقفت نور بجوارها، ووضعت يدها المرتعشة فوق يدها في وقت استعدت فيه ليلى للخبر وكأنها تستعد لسوط جلاد فوق ظهرها العاري.

اقتربت مدام حكمت من ليلى لتبعد فريدة وتحتضنها قائلة: البقاء لله في والدتك يا ليلى.

وعندئذ تداخل صوت ليلى المصاحب بالدموع مع نور وفريدة بعدها، قالت مدام حكمت بشفقة: فيه عسكري بره عايزك علشان تروحي تحضري غسل ودفن والدتك.

ليلى والدموع غسلت وجهها: وهو أنا هروح لوحدي.. إنتي مش هاتروحي معايا؟

مدام حكمت: للأسف هو معاه تصريح ليكي لوحدك وبس.

ليلى: لكن أنا مش هاقدر أروح لوحدي.

نور وهي لا تزال ترتعش من هول الموقف: ماما حكمت كلمي آدم خليه يروح معها.

وبالفعل اتصلت مدام حكمت بآدم وأخبرته عن وفاة والدة ليلى، وأنها في أشد الحاجة إلى تصريح لكي لا تترك ليلى في هذا الموقف وحدها، ولكن لم يمر وقت قصير حتى جاء آدم بنفسه هو وسامح ووقف بالخارج مع العسكري في انتظار ليلى ومدام حكمت، ولكن نور هي الأخرى قالت لمدام حكمت: أنا كمان عايزة أكون مع ليلى.

ردت عليها مدام حكمت بأن آدم يرفض أن ترى مثل ذلك الموقف ومع أن تلك الجملة كانت عادية، إلا أنها لم تكن كذلك بالنسبة لها، فقد اطمأن قلبها ولو قليلًا أن آدمها لم ينسها ولا زال خائفًا عليها، ولكنها عادت تتساءل ولكن لِمَ يسأل عني الآن وهو لا يفصله عني سوى بضع خطوات؟ هل سأتحمل ألا أراه؟ فقد كدت أن أسمع أنفاسه، ويا ليتها تعلم أن آدمها لا يقل عنها لهفة لرؤيتها وفى النهاية قررت الخروج لتستأذنه بالذهاب مع ليلى.

وما أن خرجت إلا وشعرت بأنها تسابق خطواتها من أجل رؤياه، ولا تعلم أن آدمها اشتم أنفاسها، وكاد أن يسبق ظله لرؤياها أيضًا، وبعد إلحاحها في الذهاب معهم، لم يوافق آدم في بداية الأمر، فنوره تبكي، وإن كان حالها كذلك.. فمن ذا الذي سيواسي ليلى؟

ولكن نور عاهدت آدم أنها لن تبكي مجددًا. فقط هي حزينة على ليلى التي كانت تنتظر خروج أمها من السجن لتحقيق أحلامها مع سامح.

وما أن سمع سامح هذا إذ به يصيح على آدم قائلًا: لو سمحت يا آدم كلم مدام حكمت.. علشان تخرج ليلى أنا قلقان جدًا عليها.

آدم: اهدى يا سامح يعني أنا جايبك علشان تصبرها ولا علشان تتعبها زيادة.

سامح: خلاص يا آدم بس يلا كلمها.

آدم: طيب ادخلي يا نور البسي ونادي على ماما حكمت بسرعة علشان كده إحنا اتأخرنا.

نور: حاضر.

بعد مرور ساعات عاد الجميع للدار بينما غادر آدم وسامح إلى معسكرات تدريباتهم في وقت استسلمت ليلى فيه للنوم من كثرة بكائها، بينما جلست فريدة ونور بجوارها فربما استفاقت وأرادت أي شيء.

قالوا لي أمي ماتت..شمس حياتي غابت
أقسموا أنها هناك ترقد
هراء فأمي حية لا تموت
لست لطيفًا أتوهم
فالطيف لا يحس...لا يسمع... ولا يتكلم
أمي ليست مجرد حكاية خطتها الأقلام
تنسى وتمحى مع الأيام
أمي حقيقة تزورني في الظلام
تمسح دمعي وتقبل خدي ثم أنام

دخل عاصم على والده المكتب الحاج علي: تعالى يا عاصم.

– خير يا بابا حضرتك عاوزني في إيه؟

– فيه مفاجاة علشانك بما إني مجيبتش ليك حاجة بمناسبة تخرجك يعني.

– ربنا يخليك ليا يا بابا بس إنت عارف أنا مش محتاج حاجة، ولا عمري فكرت في حاجة من ديه.

– أنا عارف يا حبيبي بس لو عرفت المفاجأة مش هتصدق، بس اعذرني لإني هخلي أخوك يشاركك فيها.

– ومن غير ما تقول يا بابا أنا أي حاجة بكون أنا وحسام شركة فيها.

الحاج علي بامتنان: عارف يا حبيبي إنكو بتحبوا بعض ربنا يحميكوا، ودايمًا تفضلوا سند لبعض وأوعوا أي حاجة تفرقكوا مهما حصل.

– في ديه اطمن يا بابا إحنا مهما حصل برده تربيتك.

– طيب يا سيدي أنا كنت وعدتك من فترة إني هخليك تسافر علشان تطمن على بنت عمك، ووعدتك إني كمان هرتب ليك الزيارة صح؟

لمعت عين عاصم وقال: بجد يا بابا يعني أخيرًا هنزل أشوف نور.

– أيوه يا سيدي وهتاخد أخوك معاك، وادي تذاكر الطيارة وأنا خليت الشغالين نضفولكوا الفيلا.. وهتلاقوا كل حاجة.

أهم شيء عايزكوا تطمنوني على بنت عمكو، وعايزكوا كمان تفسحوها وتعوضوها وتجيبولها أي حاجة هي محتاجاها، وميعاد طيارتكو بكرة الصبح.

عاصم وهو يكاد أن يطير من السعادة: طبعًا يا بابا طبعًا من غير ما تقول هنطمنك عليها وهنفسحها.

– بس اعمل حسابك إنك بسفرك ده هتعتبر إنك غادرت إيطاليا، وهتضطر تعد العشر سنين من الأول إذا أنا مت.

– العمر كله ليك يا بابا متقولش كده.. هاروح أجهز شنطتي.

دخل عاصم من باب الفيلا مسرعًا، ليقابل والدته التي قبل رأسها بسرعة ثم قال: ازيك يا ست الكل، معلش أنا مضطر أطلع علشان أجهز شنطتي لأني مسافر بكرة الصبح.

اندهشت خيرية لتصرف ابنها الذي لم يعطها الفرصة للكلام حتى كادت أن تنادي عليه لولا أنها اصطدمت في حسام الذي فعل معها ما فعله عاصم.

خيرية لنفسها: لا، ده الموضوع فيه إنَّ.. وبعدين سفر إيه ده اللي مخليهم يبقوا فرحانين كده أنا هطلع أسألهم بنفسي.

دخل عليه حسام وهو فاتح لأخيه ذراعيه ثم قال له ضاحكًا: كفارة يا عصوم أخيرًا هتشوف ملهمتك الصغيرة.

احتضن عاصم أخاه: أخيرًا يا حسام هطمن عليها والمسها بإيدي حقيقه مش خيال.

حسام: أيوه.. أيوه اوصفلي بقى يا عم الرومانسي إحساسك دلوقتي بملهمتك الطفلة.

عاصم: متقولش عليها طفلة هي دلوقتي داخلة في ١٤ سنة يعني آنسة صغيرة وأكيد بتفهم يعني إيه مشاعر وأحاسيس.

حسام: ألجمتني بكلمة الحق، هى فعلًا كبرت وبقت زي الملاك إللي ماشي عالأرض.

قذفه عاصم بالوسادة رغم أنه متيقن من براءة كلام أخيه.. ولكنه الحب.

حسام: ههه ايه يا عم مهي بنت عمي أنا كمان، ولا إنت نسيت نفسك؟

خارج الباب كانت خيرية تتصنت، وما أن سمعت اسم نور إلا وقد جن جنونها لتقول لنفسها: تاني نور.. يعنى أنا مصدقت أبعدها تسافرولها برجليكو؟ لا، والكبير بيموت فيها كمان إللي كل فلوسنا في إيده.

اتصلت خيرية بأختها سريعًا وسردت لها ما حدث وحذرتها: أنا قولتلك على إللي هايحصل، يعني تحجزي للبنات على طيارة الصبح إللي رايحة القاهرة، وتفهميهم إنهم ما يخلوش عاصم يختلي بيها خالص في مصر، ولازم سارة تفهمها إنها خطيبته، يلا لازم البنات تكون جاهزة هنا بعد ساعة.

– أقل من ساعة وجاي يا مدام حكمت... مع السلامة.

كان هذا رد آدم على مدام حكمت التي حدثته هاتفيًا، بأن نور قد تغيرت أحوالها منذ أيام لم تبرح فيها الفراش، ولم تنطق أيضًا، ولا تأكل أو تشرب، رغم محاولات فريدة وليلى معرفة سبب ذلك، ولكنها اكتفت فقط بأن قالت: هأقول لآدم لما يجي.

أخذ آدم يفكر في نور تلك التي وعدها أنه سيصبح بجوارها دومًا في أي محنة وما هي إلا ساعات قليلة حتى وجدته مدام حكمت يدخل عليها حجرة المكتب وبصوت متحشرج: فين نور يا ماما حكمت؟

حيث أخذته مدام حكمت لنور، ثم مدت يدها وتحسست شعرها برفق وهي تقول: قومي يا نور شوفي مين قلق عليكي وجه علشان يشوفك.

فتحت نور عينها بإعياء، وما أن شاهدت آدم إلا ومدت له يدها بسرعة ليساعدها على القيام من رقدتها، تبسم لها آدم ابتسامة تحمل كل صفاء الوجود وقال: خليكي مستريحة، أنا أهو هقعد جنبك.. ها نور حياتى.. فيكي إيه؟

مدام حكمت: طيب أنا هاروح أخلي الدادة تعمل لها حاجة تاكلها.

جفف آدم دموعها وعاد قائلًا: يعني عايزاني أعيط جنبك، ما هو مش معقول نور حياتي هتعيط، وأنا هقعد ساكت كده جنبها.. اتكلمي يا نور خرجي إللي جواكي.

نور بصوت حزين: أول مرة أحس فعلًا إني يتيمة، وكان نفسي تكون أمي عايشة في موقف زي ده وهي إللي تقول لي اتصرف ازاي.

آدم بعدم فهم: ليه يا نور إيه إللي حصل خلاكي تفكري بالشكل ده؟ أنا اتفقت معاكي إنك تكوني قوية ومتحسيش أبدًا إنك ضعيفة أو حتى إنك يتيمة، وقولتلك إن ربنا مش بيدي حد إلا على أد طاقته.. يعني هو عارف إنك هتقدري تواجهي الحياة.. ليه عايزة تثبتي العكس لنفسك؟

نور: أنا عارفة إنك الوحيد إللي بتهديني.

آدم مقاطعًا: بقولك إيه إنتي لازم تقومي من رقدتك ديه.. وتشمي هوا، وإنتي هتلاقي نفسك طردتي أي هموم.

وبسرعة قام وجذبها من فوق السرير، بينما اعترضت هي بشدة، كما بدا على وجهها الخجل الشديد.

وفجأة! وقف للحظة مكانه وعجز لسانه عن النطق، وانتابه الخجل وظهرت قطرات العرق على وجهه، وحاول أن يجمع شتات نفسه، ويفكر فيما يجب عليه قوله أو فعله، وقد فهم لتوه ما كان يزعج ملاكه.

وشعر بأنه في موقف لا يحسد عليه، ووجب عليه من الآن أن يقوم بدور الأم الحنونة الناصحة لابنتها، وبدور الأب المساند لابنته، والأخ الخائف وآخرهم بدور الحبيب الحاني لها.. بينما نور حاولت بقدر المستطاع أنها تخبئ ملابسها بالملاءة.

أخيرًا استجمع شتات عقله واستجمع قوته وجلس جوارها مرة ثانية وحضن وجهها بين كفيه وقال لها: هو ده السبب إللي خلاكي راقدة مكانك مش عايزة تتحركي؟

هزت نور رأسها ولا يزال وجهها بين كفيه، لكن دموعها ملأت عيونها مرة أخرى.

آدم: إنتي كبرتي يا نور، وبقيتي آنسة زي القمر.

ابتسمت نور دون أن تنطق.

آدم: طيب أنا هنادي عالدادة تغير لك الملايات وإنتي غيري هدومك علشان هتخرجي معايا.

نور بخجل: هنروح فين؟!

آدم وهو يهز رأسه بتعجب: خلاص يا نور حياتي لازم نغير كل حاجة فى هدومك، ولازم نشتري هدوم تليق بالآنسة نور مش بالطفلة نور.

تبدل حزن نور للراحة لشعورها بالأمان، فهي لم تخطئ أبدًا عندما امتنعت عن الكلام سوى لآدمها، فهو حقًا الوحيد القادر على فهم ما تريد قوله قبل أن تنطقه، وهو القادر على تبديل حزنها لفرح.

وبالخارج قابل مدام حكمت.. وأوضح لها سر ما تشعر به نور لتندهش مدام حكمت وتتسع عيناها وكأنها وجدت سمكة تطير في الهواء حيث قالت: إنت تعرف يا آدم يعني إيه ما ترضاش تقول لأي بنت من البنات إللي حاسة بيه، وتختارك إنت بالذات علشان تقولك كده؟

تبسم آدم، ولكن تلاشت ابتسامته مرة أخرى عندما عادت مدام حكمت قائلة: معنى كده إنها متعلقة بيك جدًا.. طيب يا ترى هاتعمل إيه لما أنت تتجوز وتسيبها؟

وعندئذٍ.. شعر آدم بدقات قلبه تتسارع، فهو لا يريد أن يأتي هذا اليوم دون أن يعرف ما السبب.. فهل إنه يحبها كما يقول له قلبه؟ أو أنه لا بد أن يتجاهل حبه كما يخبره ضميره أنه لا يصح الطمع في جوهرة قد ائتمنها شخص عليها حتى لو أُعجبت وعشقت هذه الجوهرة.

لم يجب آدم على تساؤل مدام حكمت ولكنه قال لها: مش مصدق إن نور كبرت وبقت آنسة!

تبسمت مدام حكمت وقالت: نور حياتك؟

بادلها آدم الابتسامة وسار بطريقه ولكنه لم يرد.

– مش بترد ليه رددت المية في زورك.. بتقول يا خرابي ليه؟

كان هذا تساؤل عاصم لأخيه حسام قبل أن يخبره حسام أن أمه قد حجزت لبنات خالته تذكرتين على نفس الطائرة، وعندئذٍ قال عاصم هو الآخر في فزع: يا خرابي فعلًا.

قال حسام: يا فرحة ما تمت.. الظاهر هانقضي الأجازة ديه كلها في النكد.

في اليوم التالي كانت سارة تجلس على المقعد المجاور لعاصم.. بينما كانت ياسمين تجلس بجوار حسام الذي يدعي أنه نائم، أما عاصم فكان شاردًا؛ لا يبالي بحديث سارة معه، حتى ضربته فوق كتفه وقالت: مالك كده مش بترد عليا ليه؟

قال عاصم: معلش أصلي سرحان بمشاكل الشغل.

سارة: طيب ما تشاركني معاك يا بيبي.

عاصم بضيق: أنا مش اسمي بيبي. كمان بقولك شغل إيش عرفك إنتي بمشاكل الشغل؟

انتبهت ياسمين لعصبية عاصم حيث ضربت هي الأخرى كتف حسام وقالت: هو ماله أخوك كده متعصب على أختي كده ليه؟

حسام: لا بس هتلاقيها مصدعاه وبتدخل في إللي ملهاش فيه.

ياسمين: لو سمحت يا حسام أنا أختي مش بتتدخل في إللي ملهاش فيه؛ هي كل الحكاية عايزة تتقرب منه.

حسام: وتتقرب منه ليه من الأساس هو القرب بالعافية.

ياسمين: ماشي يا حسام خليك كده عمال تكسفني كل ما أكلمك في أي موضوع.

حسام: أولًا أنا مش بكسفك أنا برد على كلامك بس بكل صراحة، وثانيًا إنتي لو عايزة تحسبيها إني بكسفك إنتي حرة، وثالثًا لو عايزة تقطعي معايا الكلام خالص يكون أفضل، ثم أغمض عينه وقالها: ممكن بقى تسيبيني أريح شوية.

وفى خلال ساعات قليلة كانوا قد وصلوا إلى فيلتهم.

عاصم بضيق لحسام: وبعدين هنعمل إيه في البلوتين دول، أنا مش قادر أصبر وعايز أروح أشوف نور.

حسام: بص إحنا هنقولهم كل واحد يروح على أوضته يفضي شنطه وياخد شاور، وبعدين يريح شوية، وبالليل هنخرج وهما أول ما هيسمعوا إننا هنخرج هيطيروا على أوضهم وإحنا كمان نطير على نور... قصدي إنت تطير على نور وأنا همشي براحتي.

عاصم ضربه بخفة ظل فى كتفه وقال له:

– طيب يلا اتصرف معاهم أحسن أنا خلاص مش قادر أصبر.. لكن اسمع يا حسام يا ترى أما أخرج مع نور أوديها مطعم.. ولا الملاهي أفضل؟

– أي مكان هتختاره أكيد هايعجبني يا آدم.

كانت إجابة نور عندما كان آدم يخيرها في الأماكن التي تحب أن تزورها في يوم أراد فيه آدم أن يفسحها حيث ذهبا إلى الملاهي أولًا، وتقريبًا لعبت جميع الألعاب وهي فرحة كفرحة مسجون خرج للتو من بين قضبان السجن إلى الحياة التي له فيها الحرية في اختيار الأماكن والشوارع التي يزورها، كما له الحرية في اختيار مأكله ومشربه دون أي تدخل من أحد.

لذا قالت لآدم: يا ريتنى كنت عصفورة؛ ساعتها هانعم بالحرية والكون كله هايبقى تحت أمري.

ضحك آدم وقال: أُمال إنتي حاسة إنك إيه؟

قالت نور في حزن: حاسة إني شجرة مربوطة في مكان واحد مش بتتنقل منه، وهو دار الأيتام يا آدم.

رد آدم بفلسفة: لكن لو سألتي الشجرة.. هاتقولك حياتي كده أحلى.. لإني لو كنت عصفورة كانت حياتي بقت قصيرة أوي.. صدقيني يا نور كل واحد فينا ربنا خلقه على أفضل حال.. ناقصه بس يعيش حال غيره... علشان يعرف نعمة الله عليه.

نور مبتسمة: إنت جبت الفلسفة ديه كلها منين؟

آدم: جبتها من عند البقال.

ضحكت نور بشدة وغنت دون أن تدري بنفسها:

إللي اتمنيته في أحلامي دلوقتي لقيته

مر الوقت وأنهت نور معظم وقتها بين الأكل والحلويات والملاهي على الكورنيش قالت: أنا فرحانة أوي يا آدم النهارده.

آدم: أنا كمان فرحان إنك كبرتي.. والظاهر إني بعدت عنك كتير الفترة إللي فاتت، وكان نفسي ألاحظ ده من بدايته.. لكن دلوقتي لازم تغيري من نفسك.

نور: مش فاهمة.. يعني إيه أغير من نفسي؟!

آدم: يعني يا نور حياتى لازم تفرقي بين تصرفاتك قبل النهاردة وبين تصرفاتك بعدها. نور مستفهمة: يعنى إيه!!

آدم: يعنى تصرفاتك قبل النهارده ربنا بيسامحك عليها.. إنما النهارده ربنا بين لنا علامة نضجك، وأعلن ليكي ولينا معاكي إنك خلاص كبرتي، وتصرفاتك هتتحاسبي عليها.. وعلى كل شيء مهما كان صغير.

ثم أكمل: من الآخر كده لازم تحافظي على تصرفاتك، وتتعاملي في الحدود إللي رسمها ليك دينك، يعنى متبينيش مفاتن جسمك وتحافظي على صلاتك، ومترفعيش نظرك وإنتي بتتكلمي مع راجل ولا تبيني شعرك.

كما قال: وهدومك لازم تكون طويلة وواسعة ومتسلميش على راجل بالإيد و..

نور قاطعته: طب وشعري! حرام أسيبه طويل كده؟

ضحك آدم قبل أن يقول: لا طبعًا.. الشعر ده تاج البنت، والمفروض تخليه جميل كده لحد ما تتجوزى، وجوزك ساعتها بقى هو حر معاكي، مع إني واثق إنه لو شاف شعرك عمره ما هيفكر يديكي الإذن بكده أبدًا.

نور بسرعة: يعني لو فرضنا مثلًا إنك اتجوزتني.. هاتخليني أسيبه طويل؟

ابتسم آدم: لا، مش هخليكي تقصيه.. وعلى فكرة ده مش رأي ده أمر.

وهنا شعرت نور بسعادة لا مثيل لها.. من كونها تخيلت يومًا ما أنها ستصبح زوجته، وتخيل هو أيضًا ذلك معها.

نور: طيب ممكن أطلب منك طلب بما إنك اعترفت إني كبرت.

آدم: إنتي متطلبيش يا نور حياتي إنتي تؤمري، وأنا هنا علشان أنفذ كل أوامرك وأحلامك.

نور: أنا عايزاك تجيبلي روايات رومانسية زي إللي بتجيبها لليلى وفريدة.

آدم: آآاه قولتيلي ليلى وفريدة اممم ده إنتي فعلًا كبرتي وأنا مش دريان يا ست نور.

نور بابتسامة: ليه يعني؟!

تبسم آدم لنور وإلى حالها الذي تبدل في لحظة من طفلة لأنثى كاملة دون أن يحسب للسنين عددًا.

نور: إنت سرحت فى إيه؟ طيب أنا عايز أسمعك حاجة من الشعر إللي حفظاه.

آدم: قولي أنا عايز أشوف اختياراتك:

أكثر ما يعذبني في حبك
إنني لا أستطيع أن أحبك أكثر
أنت رجل استئنائي
تحتاج إلى أحاسيس استثنائية
تحتاج إلى كتب تكتب لك وحدك
ماأكثر الصفات الجميلة ولكن لا صفة قدرت تصفك

آدم بإعجاب: إنتي جميلة يا نور حياتي واختياراتك أجمل.

نور: بس إنت مسألتنيش أنا أقصد بيهم مين؟

تبدلت ملامح آدم للتوتر فخاف أن تخبره من أنها تحب شخصًا آخر.. فهي تمر بفترة مراهقة وأحاسيسها متقلبة، ولكنه لا يعلم ما سبب خوفه من كونها تحب شخصًا آخر أم لا.. أو أنه يعرف السبب ويتهرب من نفسه.. كما يتهرب من سامح فور مصارحته بأنه يحب نور.. وكأنها جريمة سرقة ينفيها عن نفسه.

نور: توءم روحي.. إنت مش بترد ليه؟

آدم: هاه، أبدًا مفيش يا نور، بصي أنا مش عايز أعرف إنتي كنتي بتقصدي مين بالشعر ده، ولا عايزك تقولي أشعارك ديه لحد تاني مفهوم؟

نور بترقب: بس أنا معرفش حد غيرك.. أنا كنت أقصدك إنت.

آدم بدهشة تصحبها ابتسامة: إيه؟!

نور مرتبكة: قصدي... قصدي إن إنت زي ما الشعر وصفك راجل استثنائي.

آدم ينقذها من الارتباك: يلا يا نور علشان مش هينفع نتأخر.

نور بخيبة أمل واستسلام: يلا.

مد آدم له يدها وحمل منها الحقائب، وظلا صامتين حتى قال آدم: نور حياتي.

نور بصوتها الهامس: نعم.

آدم: ليكي عندي مفاجاة.

ثم أشار إلى محل الهواتف في الجانب الآخر من الطريق، وقبل أن تتفوه نور بكلمة واحدة بادرها آدم: امممممم صح.

نور: هو إيه إللي صح؟

آدم وهو يبتسم لها: صح.... توقعك صح.

اتسعت ابتسامة نور: بجد يا آدم؟

أومأ آدم برأسه.. أي نعم.

سبقته نور بفرحة داخل المحل، وهي في قمة السعادة وقالت له: يعني أنا صح؟

آدم: صح ازاي مش فاهم؟

نور: إنت واحد استثنائي.

تبسم آدم ولم يجب حتى خرجا من المحل حيث قال: بصي يا نور من النهارده لازم اطمن عليكي كل يوم وإنتي كمان لو عايزاني تلاقيني.

بفرحة مدت له نور يدها بالهاتف وقالت له: سجل لي رقمك.. رقمك إنت وبس مش عايزة أي أرقام تانية غيره لإني مش هكلم غيرك.

آدم: ليه؟ هو مفيش غيري بالدنيا؟

نور: أيوه...لأني حقيقي مش شايفة غيرك بالدنيا.

هرب آدم من سعادته: كده إنتي فاضلك الروايات إللي طلبتيهم.

نور بخيبة أمل للمرة الثانية: آه.

توقفا عند إحدى المكتبات ووقف آدم ينتقي بعض الروايات، حاولت نور أن تختار هي الأخرى، ولكن آدم أوقفها وقال: أنا هاختار لك روايات لكتاب معروفين أسلوبهم غير رخيص في جذب القراء وهاقراهم أنا الأول.. وإللي هلاقيه مفيد ليكي.. ومناسب لسنك هديهولك.

نور: بس إنت مش بتعمل كده مع فريدة وليلى.

آدم: علشان هما أكبر منك.. إنما إنتي لسه عايزة رعاية يا قمر.

تبسمت نور ابتسامة أنارت وجهها كي يبدو بالفعل كالقمر بينما أكمل آدم: كمان هعملك اكونت عالفيس وهنستخدمه بحدود وممنوع اضافة أي راجل والباسورد بتاعك هيكون معايا.

نور بابتسامة: كل إللي هتقولي عليه هاعمله.

آدم: علشان إنتي شطورة وبتسمعى الكلام خدي الرواية ديه أنا قريتها قبل كده.

وجاء على صفحة معينة وقالها: على فكرة الصفحة ديه فيها كلمات هتعجبك لما تروحي ابقي اقريها.

جلست نور بالتاكسي تقرأ الأشعار داخل الرواية بينما كان ينظر آدم في الساعة ويقول لنفسه: يا ترى كده إحنا ما اتأخرناش.. ولا اتأخرنا شوية.

– لا، بالعكس يا مدام حكمت دول اتأخروا أوي! ده إحنا بقالنا كتير قاعدين مستنينهم.

قالها عاصم وهو قلق في مكتب مدام حكمت.

مدام حكمت: ما تنساش يا عاصم يا بني إن ديه دار أيتام.. وأول مرة نور تخرج تتفسح.. يعني الصبر يا بني على واحدة محرومة طول عمرها حتى من أهلها.

وهنا برر عاصم سبب غيابه وأهله عن نور الفترة السابقة، بعدها سردت مدام حكمت على عاصم وحسام عن أحوال نور طوال السنوات السابقة، وعن دور آدم في حياتها التي كانت تشبه لوحة سوداء قبل أن يأتي آدم الفنان ليلونها بألوان مبهجة.

كان عاصم يستمع إلى هذا ويهز قدمه بطريقة عصبية وكأنه فوق سلك كهربائي عار حتى رحمته مدام حكمت من ذلك، واستأذنتهم بالخروج للإشراف على حالة الأولاد ليجد عاصم نفسه شاردًا في تساؤلات عديدة، دون أن يبال بجلوس حسام بجواره حيث كان

يسأل نفسه: معقول يا نور.. اتعلقتي بآدم للدرجة ديه؟ معقول نسيتيني ومابقاش ليا دور في حياتك؟!

وهاتف في أذنه يجيب: أجل، فأنت تشبه الأم التي أنجبت فقط ورمت بطفلتها لأم راعت وربت، فهل تنتظر من الطفلة أن تهرول إلى أحضانك وتترك آدم؟

قطع حسام شرود عاصم متساءلاً: معقول آدم قدر يعمل ده كله مع نور؟

لم يجب عاصم! ليعود حسام مكملًا كلامه الاستفهامي: يعني معقول إنه هو إللي رباها وعلمها كل المبادئ الحسنة زي ما مدام حكمت بتقول؟! ده لو فعلًا كان عمل كده ده يبقى إنسان ممتاز.

ثم أكمل: طيب تفتكر يا عاصم ممكن نور ترفضنا بعدما تعلقت بآدم؟

نظر عاصم بحدة لأخيه وصاح: ومين قال لك إني هاسمحلها إنها توافق أو ترفض، نور بنت عمنا إحنا ولحمنا وأمرها يخصنا إحنا و...

قاطعه حسام: بس.. بس يا عاصم هدي نفسك.. ولا إنت ناوي تقابلها بالشكل ده؟

ثم تنهد حسام ليجلب الهدوء على نفس أخيه ثم عاد قائلًا: يا عاصم آدم معملش حاجة غلط.. بالعكس ده عمل معاها كل حاجة حلوة، واديك شايف الكلام إللي مدام حكمت قالته.. يعنى المفروض إننا نشكره على وقفته مع بنت عمنا مش نتضايق منه ونتهور عليه من قبل حتى ما نشوفه.

قال عاصم بهدوء هذه المرة: غصب عني يا حسام.. ما أنت عارف ازاي كنت متخيل أني هأقابلها.. وإنها هتترمي بحضني.. المصيبة بقى إني ألاقيها متعلقة بواحد تاني.

– يا عم إنت مالك كده.. مقدر البلاء قبل وقوعه ليه؟ بس هي تيجي الأول، ونشوف هاتعرفنا ولا إيه.

– ما هو أنا مستني على نار أهو.. و....

قطع حديثه فتاة تركض ناحية مكتب مدام حكمت، والسعادة تملأ وجهها ومن خلفها آدم يضحك لسعادتها التي أصبحت عليها.

نور: أنا فرحانة أوي.. النهارده آدم فسحني.. وجاب ليا حاجات كتير.. و...

قطعت نور كلامها فجأة وكأنها راديو انقطع عنه الكهرباء حينما لم تجد مدام حكمت بمكتبها بينما وجدت شابين الكل ينظر لها بتعجب ربما يقول كل واحد فيهما لا بد أنها نور الطفلة الصغيرة ذات البشرة البيضاء التي كبرت الآن، وتلونت خدودها بالحمرة، وزاد طولها حتى اقتربت من طول آدم الفارع، كما أن شعرها بات أطول من ذي قبل وأصبح أكثر نعومة وكأنه صنع من خيوط الحرير.

وكأنها صورة فوتغرافية التقطتها أحد للجميع أو كأنهم تحولوا جميعًا إلى تماثيل.. تماثيل مفتوحة العينين وكأنهم كانوا لأناس تحتضر.

في ثوانٍ علمت نور أن هذا هو عاصم وذاك حسام، فلم تختلف ملامحهما كثيرًا حتى بعد مرور كل هذه السنين، وبالأخص عاصم الذي ازداد جاذبية ورجولة؛ فهو ذاته الذي كان يسقيها الحنان دومًا من زجاجة قد جفت في السنوات الأخيرة ولم يعد لديه شيئًا ليعطيه لها.

أخذ قلب نور يخفق سريعًا، وقد زادت دقاته أضعافًا، فقد جاء آدم من سنوات ليرحل عاصم وحسام، والآن قد جاء عاصم وحسام.. فهل يرحل آدم؟

إنه خوف ورعب لدى نور لم يشعر به إلا آدم الذي يقف ويقول في نفسه: يا ترى يا عاصم جاي تاخد نور مني علشان تنفذ وعدك وتتجوزها؟ طيب ازاي؟ إنت ما تعرفش إني بقيت أحبها أكتر منك يا عاصم؟ أيوه بحبها أكتر منك، ومن العدل تسيبها لي.

عاصم في نفسه: لا، عمري ما هسيبها لك.. أنا كنت متفق معاك من الأول.. واتفاقي ده هو إللي ربطك لإني عارف إنك كنت هاتحبها، أما إنتي يا نور فساكته ليه؟ يا ترى افتكرتيني ولا بتحاولي تفتكريني.

بينما كان حسام متفاجئًا حيال جمال وأنوثة ابنة عمه، أما حديثه مع نفسه فكان مختلفًا عن القطبين المتنافرين فقد أشفق كثيرًا على كل منهما، فقد اعتصر قلبه على أخيه حينما شعر أنه يواجه قوة لا يُستهان بها، ربما لأنه عاش معها طفولتها ومراهقتها وفرحها وحزنها وهو الأجدر بها رغم أنني أعلم ما بقلبك وعقلك الآن، أما أنت أيها الآدم فهل أنت تحبها حقًا أم تعطف عليها؟ فإن كنت تحبها فأنا على يقين تام من خوفك؛ لأنك لست الأقرب لها نسبًا، وأعلم أنك خائف من أخي وتقول لنفسك هل عاد لينفذ وعده؟ أما عن هذا الملاك الحائر بينكما يا هل ترى من منكما ستختار؟ فكم أنا مشفق عليكم جميعًا.. فجميعكم لا يستحق الوقوف هذا الموقف.

وقف كل من عاصم وآدم أمام بعضهما البعض كأسدين متصارعين على نفس الفريسة، ولكن هنا الوضع مختلف فكلاهما يتصارع ليعطيها حنان العالم وحبه بين يديها.

وأمام الثلاثة رجال قامت نور بحركة فجائية لم يتوقعها أحد من الثلاثة، فلم تستطع التخلي عن عادتها أمام أي موقف تخاف أو تتوتر منه عندما يقترب منها شخص غريب عنها؛ لذا تراجعت وانكمشت خلف ظهر آدم، والغريب! أنها فتشت سريعًا في تلك الحقائب حتى أخرجت طرحتها ووضعتها فوق شعرها، فعلى الرغم من تلك الحركة البسيطة إلا وأنها تحمل الكثير من المعاني؛ لذا شعر آدم بارتياح من أن نور لن تتركه.

سأبقى لَكِي الــروح في هــذا الكون
فــإن لــم أكــن لَــكِــي فلمن أكــون
يا سيف حياتي وتاج عمري المصون
بكي وحدك ينبض يفيض نهري المجنون
فتعالي أكتبك حرفا قلبي المكنون
ولـــــــكـــــــي وحـــــــدك
عـــلـــى ســـطـــح الـــقـــمـــر
يسقى منه العشاق الحلم والسهر
وسأنقش اسمك على كل حبة مطر
لتفوح الأرض بعطر روحك بعد حلم منتظر

أما عاصم فنظر له متحديًا وكأن عينيه تقول لآدم أنا لن أتركها لك فهي حبيبتي قبلك، وأنت عدوي اللدود.

مر هذا المشهد في خلال لحظات قليلة، ولكنها حملت المعانى الكثيرة، ونطقت بالمشاعر المكنونة عند كل الأطراف، وجعلت كلاً

منهم يعترف لنفسه عما حاول قلبه أن يخفيه.

بعدها دخلت مدام حكمت ولاحظت وقفة الثلاثة أسود والغزالة خلف ظهر أسد بينهم حيث قالت: إيه يا جماعة واقفين على باب المكتب كده ليه؟ تعالوا أعرفكوا ببعض.

وشاورت لنور بالتقدم وقالت لها: تعالي يا نور شوفتي المفاجاة عارفة مين دول؟ دول...

قاطعها تصرف نور الفجائي، فما كان منها إلا أن بكت بشدة وركضت مسرعة لحجرتها بعدما سقطت منها كل الحقائب التي كانت تحملها حيث تحولت فرحتها لصراخ وبكاء.

لتتركهم جميعًا مصدومين من تصرفها، وكل منهم يعطي لنفسه سببًا لذلك التصرف ولكن بطريقة مختلفة عن الآخر.

كاد قلب آدم يتمزق على قطته دون أن يعلم ما أصابها وهو يقف هكذا عاجزًا عن فعل أي شيء، بينما كان شعور عاصم مشابهًا لشعور آدم وارتعد جسده خوفًا عليها وكاد أن يهرول خلفها، أما حسام فقد كان أكثرهم للوصول لحقيقة ما حدث.

بينما أسرعت مدام حكمت لترى ما حدث لها، في حين ارتمت نور بحضن فريدة وقالت باكية: هياخدوني.. هياخدوني من آدم يا فريدة.

فريدة بذعر: هما مين دول إللي هياخدوكي؟!

دخلت مدام حكمت بقلق جذبت نور لحضنها وقالت: مالك يا حبيبتي.. مالك يا نور جرالك إيه؟

نور وقد تلألأت الدموع فوق خدودها: هياخدوني يا ماما من آدم.

مدام حكمت: إنت عارفة دول مين؟

نور: أيوه.. دول عاصم وحسام ولاد عمي.. لكن هايبعدوني عن آدم.

مدام حكمت: للدرجة ديه متعلقة بآدم يا نور؟

نور: أيوه.. أيوه.

سكتت مدام حكمت للحظات ثم عادت قائلة: على العموم مفيش حد يقدر يجبرك على حاجة وأنا موجودة.. لكن الشهادة لله ولاد عمك بيحبوكي.. كل الحكاية إنهم هايخدوكي أسبوع يفسحوكي فيه ويرجعوكي تاني.

نور بصوتها الباكي: لا يا ماما حكمت ماتخبيش عليا هما جايين ياخدوني.

مدام حكمت: الظاهر إنك مش بتصدقي حد إلا آدم.. أنا هاخليه يجي يفهمك بنفسه.

– بنفسك بتفسحها.. وبتوصلها كمان لحد الدار؟

قالها عاصم وهو يصافح آدم بكبرياء وبعدها قال: يا ترى دلوقتي افتكرتني يا آدم باشا.. عرفت إنك بقيت ضابط.

آدم: طبعًا فاكرك، ملامحك ما اتغيرتش كتير يا عاصم.

عاصم بخبث: أنا كمان عمري ما نسيت ملامحك، ولا كلامي معاك يوم ما جيت أودع نور، وفاكر كل حرف فيه.

ثم سكت عاصم للحظات وعاد: آه كمان عايز أشكرك جدًا؛ لأنك نفذته وخليت بالك منها وكنت مكانى.. لكن دلوقتي أنا رجعت ارتاح بقى شوية يا آدم.

وكأن عاصم أراد أن يقول له إنه الأصل، أما أنت يا آدم مجرد صورة لا مكان لها في حالة وجود الأصل.

تبسم آدم وقال: على العموم ما تشكرنيش؛ لإن مش وعدك بس إللي خلاني محافظ على نور.. أنا حافظت عليها لأنها بقت زي أختي يا عاصم.

عاصم: كويس إنك اعتبرتها أختك.. وطبعًا فاكر وعدنا؟

آدم لنفسه: وعدنا! آاه من وعدنا، لقد قسمني وعدنا لشخصين متصارعين أخ وحبيب.

عاد آدم بصوت مسموع: هاه، وعدنا آه طبعًا فاكره و...

قاطعه عاصم: طيب خليك يا آدم فاكره؛ لأننا هناخدها أسبوع واحد الفيلا، ونرجعها تاني قبل ما نرجع إيطاليا.

ويا لها من فرحة عارمة فرح بها آدم، وكأنه قد فك من حول رقبته حبل المشنقة وتأجل الحكم لأجل غير مسمى، ثم جاءت مدام حكمت في نفس الوقت وقالت: ادخل يا آدم هديها.. مفيش غيرك إللي يقدر يخرجها من إللي هي فيه.

هرول آدم سريعًا دون أن يبالي بنظرات الغيرة التي تتطاير من أعين عاصم الذي أعلنت أمامه مدام حكمت أنها قد اختارت آدم للمرة الثانية، لكن بشكل غير مباشر، ثم أوضحت لعاصم أنها تعلم جيدًا أنه يحبها، وأنه يغار من آدم، ولكن لا مجال لهذه الغيرة، فآدم أخوها الذي

قام بتربيتها، وقطعًا لا بد أن تتعلق به، خاصة أنها لم تجد أمامها إلا هو خلال الفترة السابقة.

أما عاصم فكان يريد أن يصدق ما تقوله مدام حكمت، ولكن قلبه لا يصدق، وعينه التي شاهدت فزع كل من آدم ونور لا تكذب، ولكن هي حرب وحتمًا ستكون نور في الآخر ملكه.

– ده في المشمش.. مفيش حد هايقدر يبعدنا عن بعض.. ده إحنا عشرة عمر يا نور.

كان ذلك رد آدم على نور حيال تخوفها من مجيء عاصم وحسام اللذين حتمًا سينهيان تعلقها بآدم على حد زعمها.. قبل أن يطمئنها آدم بتلك العبارة ثم عاد مرة أخرى قائلًا: صدقيني هو أسبوع بس هاتروحي معاهم بعدها هيسافروا وترجعي هنا تاني، بعدين إنتي معاكي الموبايل.. ساعتها هاقدر اطمن عليكي كل لحظة.

أيقنت نور من صدق هذا الأمر فقد اعتادت أن تصدق أي شيء يخبرها به آدم حتى لو حدثها عن أشياء بعيدة عن المنطق، فستصدقه أيضًا.

أوضحت له نور أنها ليست خائفة من أبناء عمها.. لا بل إنها تحبهم كثيرًا، وأنهما ذات قيمة كبيرة في عينها كجبال من الذهب، ولكن لا بد أن تخشى تلك الجبال، لو وضعت نفسها سدًا منيعًا بينها وبينه.

ولكنها قامت من فوق فراشها لترحب بأبناء عمها كما قال لها آدم، فهو حريص أن تصل رحمها كما أمر الدين، وبينما تستعد لذلك إذ بحجابها يسقط من فوق رأسها ليهم آدم بإلتقاطه سريعًا ويتقدم ليضعه فوق رأسها مرة أخرى، فجأة دخلت مدام حكمت بصحبة حسام وأخيه

عاصم الذي اشتعل قلبه غيرة من رؤيه هذا المشهد، لتسقط نور فوق قلبه الماء البارد، وذلك عندما ابتسمت له ومدت يدها قائلة: ازيك يا عاصم.. على فكرة إنت وحشتني أوي.

ليبتسم عاصم ويضغط على يدها بحرارة وكأنه لم ير شيئا ثم قال لها: ما اتغيرتيش خالص يا نور عن زمان.

بينما رحب بها حسام وهو يقول لأخيه: ما اتغيرتش ازاي يا أخي.. ديه بقت عروسة زي القمر أهيه.

يبدو أن عاصماً قد ارتاح وأشعلت نور النيران في قلب آدم دون أن تدري ولكنه تماسك، فلم تكن هذه المرة الوحيدة الذي سيشعر من خلالها بالغيرة.

أمرت مدام حكمت نور أن تجهز حقيبتها فلا مانع من مغادرة الدار لهذه الفترة القصيرة بينما تساءل آدم: هو الحاج مجاش معاك ليه؟

سعد عاصم بذلك السؤال، الذي ستصبح إجابته نارًا تكوي في قلب آدم حيث رد: بابا هناك في إيطاليا... هي هاتيجي معايا أنا بس.

كادت ملامح آدم أن تنطق من الغضب ولكن بادرته مدام حكمت قائلة: وده يصح يا بني.. شابة تسكن مع اتنين شباب؟!

قال آدم: طبعًا ما يصحش، ومش أصول كمان.

عاصم بضيق: وإيه دخلك إنت ديه بنت عمنا وإحنا حرين فيها.. كمان إحنا مش لوحدنا.. معانا الشغالين وبنات خالتنا.

مدام حكمت: مفيش حد حر فيها إلا أنا يا عاصم.. ما دامت هنا تحت رعايتي في الدار بتاعتي.

عاصم: يعني إيه؟

مدام حكمت: يعني آدم يوصلها لحد الفيلا ويطمن عليها ويرجع.. أنا عارفة إنك صادق يا بني، لكن أهو علشان قلبي يطمن.

حسام مهدئًا للموقف: بالراحة يا عاصم الناس مغلطتش، وبعدين يا سيدي إحنا المفروض نشكرهم لأنهم خايفين على بنت عمنا.

عاصم في نفسه: يا له من آدم يشاركني بها حيثما ذهبت.

ثم بصوت مسموع: خلاص يجي يطمن عليها مفيش مشكلة.

سعدت نور عندما علمت أن آدم سيأتي لتوصيلها.

وبالخارج:

فتح عاصم باب سيارته الأمامى وأشار لنور أن تجلس بجواره بينما جلس حسام وآدم فى الخلف حيث بحث عاصم عن أي شيء يغيظ به آدم فلم يجد أي شيء سوى أن قال لنور: على فكرة يا نور إنتي احلويتى جدًا وكبرتي أوي، بس تصدقي شكلك مختلفش كتير عن الصورة إللي رسمتهالك في خيالي.

نور بتلقائية: طيب إنت ليه كنت بتتخيلني؟ أنا من وقت للتاني كنت بابعت صورتي لعمي من موبايل ماما حكمت.

عاصم: الحقيقة أنا كنت قاصد مشوفكيش، وكنت مصمم تفضلي على الصورة إللي أنا رسمتهالك.

وعندئذ ابتسمت نور ولم تعلق بينما قال حسام: من وقت للتانى إيه يا نور.. ديه هى مرة واحدة يتيمة إللي بعتتلنا فيها صورتك، ولا إنتي غاوية بكش؟

ضحكت نور وقالت: زي ما إنت يا حسام ما اتغيرتش.

سكت آدم واكتفى بهز قدميه.. دليلًا عن الغيرة المكتومة في قلبه بينما عاد عاصم قائلًا: أنا هاجيبلك موبايل علشان كل موقف تصوريلي نفسك كأني معاكي بالضبط.

نور: ملهوش لزوم، آدم ربنا يخليه ليا.. جاب لي النهارده موبايل.

شعر عاصم أيضًا بالغيرة ليهز قدمه هو الآخر، ولكن فوق البنزين ليسرع بالسيارة ليعبر عن ضيقه من ذكرها لآدم.

وصلوا جميعًا إلى الفيلا،ثم نظرت نور إلى أشجارها وأركانها وتذكرت حزينة ذلك اليوم الذي خرجت منها، ولم تعد لها سوى الآن.

وما أن دخل الجميع إلى الفيلا إذ بسارة وياسمين تقفان على السلالم فور سماعهما لصوت محرك السيارة، وقد ارتدت كلتاهما بنطالًا مثقبًا من كل ناحية وكأنهما كانتا تهرولان أمام مجموعة من الكلاب التي تسببت هي بذلك حيث قالت سارة: بقى كده يا سي عاصم.. مش قولتلي إنك هاتفسحني وفي الآخر ضربتني بمبة.

عاصم: اهدي يا سارة.

بينما انكمشت نور كالعادة خلف ظهر آدم الذي قال لها: ماتخافيش دول بنات خالة عاصم.

نور بتلقائية: بس دول حلوين أوي.

آدم: حلوين إيه دول زي عرايس المولد.. إنتي أجمل يا نور حياتي.

نور بهمس: بجد.

آدم: اسكتي بس المهم مالكيش دعوة بيهم.

أمسك عاصم نور من يدها وقال: أقدملك يا نور؛ ديه سارة وياسمين بنات خالتي.

نظرت نور لسارة وياسمين وقالت: أهلًا أبلة سارة.. أهلًا أبلة ياسمين.

سارة: أبلة إيه يا بنت إنتي.. ده إنتي إللي يشوفك يقول إنك أكبر مني.

انكمشت نور سريعًا خلف ظهر عاصم عندما شعرت بهذا الهجوم عليها، بينما علا عاصم من صوته: نور بنت عمي، وكل إللي في البيت لازم يحترمها الصغير قبل الكبير.

سارة: وهو حد كلمها.. ما هي إللي جاية تتريق علينا أهِوه.

عاصم: مش بالشكل ده يا سارة ده بالعقل.

سارة: يعني تقصد إني مجنونة.

آدم: لا هو ما يقصدش كده يا آنسة سارة؛ هو...

قاطعته سارة: اسكت يا إنت.. أنا ما وجهتش ليك كلام.

نور: يا إنت إيه؟.. ده ظابط على فكرة.

تضايق عاصم من دفاع نور عن آدم.. بينما قال حسام هو الآخر: الكلمة ضايقتك أوي، طيب ما إنتي فعلًا أكبر منها بحوالي ست أو سبع سنين.

نور بهمس: أنا خايفة منهم يا آدم لما تروح وتسبني.

آدم: ماتخافيش.. أنا هاتصل بيكي دايمًا؛ علشان اطمن عليكي.

قطع آدم المشاحنات التي شنت بين سارة وعاصم، ثم نظر لعاصم ومد له يده وقال: استأذن أنا بقى يا عاصم.

صافحه عاصم وتقدم معه خطوات للأمام وقال: أشكرك يا آدم على كل شيء حلو قدمته لبنت عمي، وأشكرك مرة تانية على وفائك بالوعد.

آدم: قولتلك يا عاصم ديه زي أختي.. بس لازم توعدني بشيء إنت كمان.

عاصم: اتفضل.

آدم: توعدني إنك توفر ليها الأمان في بيت المفروض إنه بيتها.. أنا بوصيك بكده خصوصًا بعد ما شوفت بعيني تصرفات بنات خالتك.

عاصم مبتسما: اطمن.

الحقيقة.. لم يكن عاصم كارهًا أبدًا لآدم أو آدم كارهًا لعاصم، فهما يحبان بعضهما، ولكن حب يتوارى خلف رداء الغيرة.. فالغيرة هي الشيء الظاهر على كل منهما. أما الحب فهو ساكن في قلبيهما.. فكيف يكره عاصم من حافظ على ابنة عمه خلال هذه السنوات؟ وكيف يكره آدم من يحافظ على حبيبته الآن؟ فعاصم وآدم يبدو أنهما شخص واحد أمام الجميع.. إلا في عين نور فهما شخصان؛ أحدهما أخ، والآخر حبيب.

ساد الهدوء مرة أخرى داخل الفيلا، فقد جلس حسام بجانب ابنة عمه يداعبها وهي تضحك على خفة دمه في الغزل بينما كانت تهمس ياسمين لأختها: أنا مش قادرة أفهم ازاي ديه طفلة.. ديه جسمها وكأنها عشرين سنة.

سارة بضيق: إنتي هاتتغزلي فيها إنتي كمان ولا إيه؟ مش كفاية عاصم الهيمان.

ياسمين: بصراحة هي البنت حلوة.. ووشها كله براءة.

سارة: طب غوري بقى.. ولا أقولك أنا هاروح أكلم أنطي خيرية أقولها على كل إللي حصل.

– طيب وهو إيه إللي حصل يخليك قلقان ومتوتر كده.. ديه مع ولاد عمها.. يعني لازم تطمن عليها.

هكذا كان سامح يحادث آدم.

آدم: إللي قلقني بنات خالة عاصم.. الحاجة التانية إني خايف يكون عاصم بيحبها حب رومانسي!

سامح بدهشة: إن كان على بنات خالته.. فهو يقدر يحميها منهم كويس.. أما عن خوفك إنه بيحبها.. فإنت عارف كويس إنه بيحبها.. وهايتجوزها كمان.

سكت سامح لحظات ثم قال: إلا إذا كنت بقى إنت بتحبها وغيران عليها.

آدم: قولت لك ألف مرة يا سامح.. ديه زي أختي ليه مش مصدق؟

سامح: لإنك بتكدب يا آدم، وبتدي لنفسك مبررات مش مفهومة.

آدم: وحتى لو كنت بحبها.. هاعمل إيه يا فالح في الوعد إللي وعدته لعاصم.

سامح: لا، ما تقلش افرض.. لإنك فعلًا بتحبها.. وقاعد أهو خايف.. إن مشاعرها تكون متقلبة وتنساك وتحب عاصم.. أما على الوعد فده كان وعد أطفال...

قاطعه آدم: أنا هأقوم أنام.. الكلام ما منوش فايدة معاك.

سامح: خليك كده مكابر لحد ما تضيع منك يا حضرة الظابط.

يبدو أن الكلمة أوجعت آدم.. فهو بالفعل يخشى ضياع نور منه خاصة بعد ظهور عاصم في حياتها مرة أخرى..

أغمض آدم عينيه ولكن، بدأ النوم يهرب من عينيه كما يهرب من عيون المحبين والخائفين أيضًا.

– والله أنا كمان يا أخي مش جايلي نوم.

كان ذلك رد حسام.. عندما أمر عاصم ابنة عمه نور أن تذهب لتنام، وأجابته

هي: مش جايلي نوم يا عاصم.

وعندما ألح عاصم مرة أخرى قاصدًا إراحتها قالت: حاضر يا عاصم.

ضحك حسام وقال: أحبك وإنتي مؤدبة ومطيعة.

نور بحزن: لا ده لإني متعلمتش إلا إني أقول حاضر لإني أصلًا معنديش اختيار.

تبدلت ابتسامة حسام لتوتر بينما تصدع قلب عاصم لكلامها لما حمله من ألم.

عاصم برجاء: إحنا آسفين يا نور.

نور: لا أنا مش زعلانة، والله أنا أصلًا بقيت أقول كلمة حاضر دايمًا وأنا راضية.

عاصم بتودد مد لها يده وأمسك منها حقيبتها وقال وهو مبتسمًا: اعتبريني الدادة بتاعتك ومد الأخرى لها.

نور بخجل: آسفة علشان حرام.

عاصم بدهشة: طيب مين الشاطر إللي قالك تعملي كده.

نور: آدم.

عاصم فى نفسه: تسلم يا آدم.

سارة لنفسها بغيظ: والله عال بقى عاصم رجل الأعمال إللي بيشتغل تحته موظفين يقول لمفعوصة زي ديه اعتبريني الدادة بتاعتك.

– يا ستي إنتي مالك متضايقة ليه؟ قُلت هارتبلك هدومك في الدولاب يعنى هارتبهالك.

وبالفعل أخذ عاصم يرتب ملابس نور في دولاب غرفتها رغمًا عنها، لأنها لم تشأ أن تجهده وبينما هو يرتب الفساتين.

سأل عاصم: دول جداد؟

نور: أيوه.. آدم إللي اشتراهملي النهارده.

عاصم لنفسه: مش عارف أحبك ولا أكرهك.. ولا أنا بحبك بس بغِير منك حقيقي! إنت إنسان باكن له كل احترام بس اعذرني ديه نوري أنا.. ولحد هنا يبقى استوب.

عاصم لاحظ التوتر على ملامحها فسألها: مالك يا نور؟

نور: أصل أنا عمري ما نمت في أوضة لوحدي وبصراحة خايفة.

عاصم بحنان: ما تخافيش يا نور.. أنا باسهر مش بنام بدري.. لو احتاجتي حاجة اندهيلي.

ازداد الخوف في قلب نور ولكنها لم تجرؤ على نداء عاصم في هذا الوقت من الليل، فأمسكت بالهاتف لتحادث أمانها الوحيد الذي عندما شاهد اسم نور على هاتفه إلا ورد سريعًا وسألها بقلق: مالك يا نور؟

بكت نور: أنا خايفة يا توءم روحي.

لم يدعها آدم تكمل ولكنه قال: اقفلي أنا جايلك حالًا.

نور بسرعة: لا.. لا ماتتعبش نفسك.. بس أنا خايفة أنام لوحدي.

وما أن عرف آدم سبب خوفها إلا وهدأ قليلًا، وبحنان قال لها: اهدى يا نور، وأنا هافضل معاكي عالتليفون يا ستي لحد ما تنامي.

نور بطفولية: بس أنا كده هاتعبك.

آدم: لا يا حبي.

وتنبه لما قاله فجأه.. فأسرع يعدل من كلامه وتنحنح: احمم قصدي مفيش تعب المهم عندي إنك متكونيش خايفة.

وقد ظن أنها لم تسمع كلمته، ولكن هيهات فقد خرجت منه بدون قصد لكنها خرجت بصدق من القلب، وما يخرج من القلب يصل للقلب، ولهذا سمعتها نور وشعرت بكل معانيها حتى وإن تنحنح وتراجع فقد فات وقت التراجع.

– لا، مش تراجع يا سامح ولا حاجة.. أنا مش هاسيبك لكن كأخت أو صديقة.

ويا لها من رصاصة أصابت قلب سامح عندما سمع من ليلى هذه الكلمة لذا قال: ليه ده كله؟ قوليلي مبرر واحد يمكن يكون فيه حاجة إنتي شايفاها أنا مش واخد بالي منها.

ليلى ببكاء: صدقني يا سامح سواء اتكلمت أو سكت النتيجة واحدة، وهو إن حبنا وارتباطنا مش هيكمل.. فليه الداعي إننا نعذب نفسنا عالفاضي؟

سامح بنفس العصبية: بس أنا مصمم إنى أقابلك.. واتكلم معاكي.

ثم أكمل قائلًا: ومش هاقبل غير كده، إلا لما أعرف إنك كرهاني وهتقدري تنسيني.. هاتقدري تنسيني يا ليلى؟

لم تجب ليلى ولكنها كانت تبكي فقط.

أنهى سامح معها المكالمة حتى لا تزداد حالتها سوءًا، ولكنه صمم أن يقابلها وجهًا لوجه.

فريدة: حد يقول لحبيبه كلام زي ده على الصبح يا ست ليلى.. تقدري تقوليلي مش عايزة ترتبطي بيه ليه.. رغم إنك بتموتي فيه؟

قالت ليلى بضيق: مش عارفة ليه يا ست فريدة؟ علشان إحنا تربية ملاجئ وأهله إللي من الصعيد الجواني طبعًا هيرفضوا.. علشان إحنا زي النمل مخلوقين بس علشان ننداس بالجذم.

فريدة: مالك يا ليلى.. إنتي ليه مكبرة الموضوع.. هو إللي هيجي يتقدم، وإن أهله رفضوا.. ساعتها هايتجوزك غصب عنهم.

ليلى: علشان أبقى نسخة تانية من أمك إللي جابتك هنا وماتت يا فريدة.

بكت فريدة سريعًا وقالت: عندك حق.. أنا آسفة.

احتضنت ليلى فريدة هي الأخرى: أنا إللي آسفة يا فريدة إني ضايقتك.

جففت فريدة لليلى دموعها، ولنفسها أيضًا ثم تبسمت وقالت: يلا بلا هم.. الأكل هو الأهم.. قومي يلا علشان نفطر.

– فطار إيه ده يا نور.. ده إنتي مالحقتيش تاكلي لقمة على بعضها؟

ردت نور على حسام: أصل أنا متعودة على نظام الدار آكل بسرعة.

عاصم: طيب سيبي كل حاجة مكانها، الشغالين هما إللي هيشيلوا كل حاجة.

سارة بكل غرور: تربية ملاجئ بتكون متعودة على كده طبعًا.

وعندئذٍ.. اتصدمت نور من جملتها وسقطت من يدها الأطباق، وتهشمت جميعها وتهشم قلبها أيضًا، ونزلت دموعها بصمت وتركتهم، وهرولت إلى السلم لكي تسجن نفسها في حجرتها ربما لتكمل بكاءها.

عاصم بعصبية: إنتي إيه إللي قولتيه ده؟ إنتي مجنونة؟!

ثم عاد بصياح وبعصبية أكثر: باقولك إيه؛ نور ديه خط أحمر وإلا هتكونى إنتي بره وهي جوه، ومتنسيش إنها صاحبة بيت، وإنتي إللي ضيفة، ومتخلينيش أتبع معاكي أسلوب ميعجبكيش وتشوفي وشي التاني، ومتنسيش إنها بنت عمي ولحمي وهتشيل اسمي فيما بعد إنتي فاهمة.

حسام بغيظ هو الآخر قال لهم: إنتوا الاتنين مشوفتش زيكو مثيل، وخلوا بالكو لو حد فيكو ضايقها تاني أنا قبل عاصم هوريكوا.

بعدها.. ذهب عاصم إلى غرفة نور ليطمئن عليها فوجدها تبكي، وهي تحادث آدم بالهاتف وتترجاه أن يأتي ليصحبها للدار مرة أخرى.

أخذ عاصم من يدها الهاتف وما أن سمع آدم صوته إلا وقد صاح معاتبًا: كده.. يا عاصم ده إللي وعدتني بيه.. طول الليل تنام مرعوبة والصبح تتهان.

عاصم بحدة: أنا مش محتاج حد يوصيني على بنت عمي. وإللي في يوم هاتشيل اسمي.

ثم أغلق مع آدم، ونظر لنور وجفف دموعها برفق، وترجاها أن لا يرى هذه الدموع ما دام على قيد الحياة، فمن الممكن أن يكون أخاها، أو صديقها الذي تقص عليه أي شيء يضايقها فهو أقرب لها من آدم.

شعرت نور بصدق مشاعره، وأنه ما زال يخاف عليها أكثر من ذي قبل، وكأنها ترى أمامها عاصم الطفل الحنون حيث مد لها عاصم يده وأمسك يدها وقال: طيب يلا بقى يا نوري.. تعالي نتفسح ونفطر بره أحسن عاصم مكملش فطاره، وده يا ستي ممكن ياكلك إنتي شخصيًا لما يكون جعان.

تبسمت نور في وجه عاصم ابتسامة عريضة.. جعلته متجمدًا مكانه للحظات.

يا راسمًا على شفاهي ابتساماتي
وماسحًا بسحرك جراح حياتي
أهديك باقة من الأشواق
وحنينًا يسكن الأعماق

مثله كمثل آدم الذي تجمد أيضًا بمكانه عندما صارحه عاصم بالفعل أن نور ستصبح شريكة حياته المستقبلية، ولكن كان عزاؤه في حيرته وحزنه أن نور قد اتصلت به لتخبره عن عقاب عاصم لسارة كما استأذنته في الخروج مع عاصم وحسام، حينها أيقن أن تلك العصفورة ما زالت ترقد تحت جناحيه ولكنه خائف، فإنه لم يخطُ خطوة واحدة للأمام.. لم يصارح نور بحبه.. حتى وإن صارحها فقد لا يفيد ذلك بشيء سوى التقليل من نفسه أمام عاصم فقط، فهو على أي حال يشعر أن نور تبتعد عنه حتى وإن سافر عاصم بعد أيام، فسوف يظل خائفًا.

– يا ستي ما تخافيش.. ماهو أنا معاكي أهو.

هكذا طمأن عاصم ابنة عمه نور حينما وجدت سارة وياسمين داخل السيارة في الوقت الذي استعدت فيه للنزهة مع عاصم وحسام.

نور: هاتودينا فين يا عصوم؟

عاصم: أي مكان تختاريه إنتي يا ست البنات.

سارة: فيه إيه يا حسام يلا اتأخرنا.

حسام: تعالي يا سارة إنتي وياسمين هتركبوا معايا.

سارة بعصبية: ليه بقى؟ ده أنا خطيبته.

حسام بسخرية: إيه ده.. هو عاصم أخويا خطبك ومعزمنيش؟ والله لأعاتبه لما نرجع.

أشار حسام لنور لتجلس بجوار عاصم، واقترب من شباك عاصم وقال له: عد الجمايل وادعيلي إن ربنا يصبرني على ما بلاني، واتَّكْ عالدعوة شوية أصلهم بلوتين مش بلوة واحدة.

وحينها لم تستطع نور أن تتحكم في نفسها، فانفجرت ضاحكة على طريقته.

مر اليوم بسعادة على نور.. ومع ذلك لم يفارق آدم عقلها فبين اللحظة والأخرى كانت تريد أن تحادثه ليشاركها سعادتها، وعلى الرغم من ذلك شعرت أن سعادتها يوم كانت مع آدمها أكثر:

أفتقدك بالرغم من كثرة الأصحاب

أريــدك وأنا بيــن شــلة الأحباب

فبدونك أحيــا بلا أمن ولا اطمئنان

ولكنها الآن سعيدة بروح الأسرة التي جلبت لها الحرية، حتى ولو أيام فقط، لم تدرِ نور بنفسها إلا وهي تغني، ومن خلفها الناس تتجمع وكأنها تستمع إلى بلبل، وكان من بين هؤلاء المعجبين شاب يدعى رامز.

لم يشعر به عاصم إلا وقد وضع رامز يده على كتفه، وحينها احتضنه عاصم، ولِمَ لا يشتاق عاصم لزميل الدراسة في إيطاليا وحينها قال عاصم لنور: أقدملك يا نور رامز صديق الغربة.

رامز بإعجاب: معقول يا عاصم ديه نور بنت عمك إللي كنت بتقول عليها طفلة؟ أنا حاسس إنك أكيد كنت بتتكلم على واحدة تانية.

عاصم: لا، هى، تخيل شوف كبرت ازاي.

رامز: على فكرة إنتي صوتك حلو أوي، وبصي حواليكي الناس إللي اتجمعوا على صوتك وإنتي تعرفى إني مش بجامل.

عاصم بغيرة: احممم وازي طنط يا رامز؟

رامز: ماما ونُهى أهم معايا؛ أصل الست نهى هتتجوز بكرة وقررت إنها تودع حياة الشقاوة بفسحة في الملاهي.

أشار رامز لنهى ووالدته فاقتربا منهم.

رامز: تخيلي يا ماما ديه تبقى نور بنت عم عاصم إللي كان بيحكيلنا عنها.

والدة رامز: معقول ده إنتي بقيتي عروسة أهه وعايزة عريس.

شعر عاصم بالضيق.. وحاول أن يستأذن.

والدة رامز: لا، مش هتمشي إلا لما تواعدني إنك إنت ونور هتيجوا بكرة فرح نهى.

عاصم: والله الرأي يرجع لنور، ونظر لنور ليستمع لرأيها.. ها موافقة يا نور؟

– طبعًا موافق وديه عايزة كلام.

أجابها هكذا آدم بعد أن استأذنت منه بذهابها إلى حفل زفاف بصحبة عاصم الذي اشترى لها فستانًا يتناسب مع هذه المناسبة؛ ذلك الفستان الذي ارتدته سريعًا وصورت به نفسها ثم أرسلت الصورة لآدم ليبدي إعجابه به، على الرغم من أنه كان يتمزق من الغيرة فقد أعطى لها الفستان سنوات إضافية إلى عمرها حتى بدت في سن العشرين.

يـا ربـي قلبـي لـم يعـد كافيًـا
لأن مـن أحبها تعـادل الدنيا كلها
فضع في صـدري واحـدة غيرها
تكـون فـي مسـاحة الدنيـا كلها

أغلق آدم معها، وبعدها وضع صورتها كخلفية على شاشة هاتفه وهو ينظر لصورتها ويقول: هل ممكن يجي يوم وتنسي آدم يا نور؟

– مستحيل.. مستحيل.

قالتها بالفعل نور.. عندما أراد منها عاصم أن تجلس بالطابق الأرضي معهم جميعًا لذا اعترضت نور بهذه الكلمة خوفًا من الاحتكاك مرة أخرى بسارة وياسمين.

عاصم: ملكيش دعوة بيهم، إنتي صاحبة البيت وإللي مش عاجبه يسيبه.

وسحبها فجاة من يدها خلفه وخرج بسرعة.

نور وهى تسحب يدها منه بهدوء: هى مش سارة خطيبتك إنت ليه بتعاملها كده؟

وهنا صاح عاصم غاضبًا: يعني آخر صبري يكون سارة؟!

كادت نور أن ترد لعلها تزيل حملًا يقف على صدرها، فكانت تريد أن تقول له اتركني وشأني، وعش حياتك فأنا لآدمي فقط.. إلا أنها تفاجأت بسارة أمامها صاعدة لحجرتها.

وصل عاصم ونور للصالة فوجدا أن ياسمين وحسام يتشاجرا بطريقة فكاهية على ريموت التليفزيون.

عاصم: إنتو هتفضلوا تتخانقوا كتير؟

ثم وجه كلامه لياسمين: معلش يا ياسمين كملي الفيلم فوق أنا عايز أتكلم مع نور.

ياسمين: لا، خلاص طالما هترغوا أنا هاقعد معاكو.

عاصم: اقعدي يا نور...نور.

نور: ها، فيه إيه؟

حسام محاولًا إفاقتها: خلي بالك يا نور إنتي مش لابسة حجابك.

بتلقائية وضعت نور يدها على رأسها، واكتشفت أن حجابها يخبو شعرها، وأنها مجرد دعابة من حسام.

بعدها قالت: يا لهوي لو كنت نسيت الطرحة فعلًا كان آدم بهدلني.

تبدلت ملامح عاصم وفى نفسه قال: كل حاجة آدم.

حسام: تعالي يا نور اقعدي جنبي واحكيلي عنك شوية كأني كنت عايش معاكي.

نور بحزن: لو حاولت مجرد إنك تفكر إنك تعيش معايا مش هتستحمل العيشة.

كان لوقع كلمتها أثرها الواضح على كلاهما والأغرب أنها أثرت فى ياسمين أيضًا، ثم تركت نور نفسها لتقص طويلًا عن سنوات عمرها التي قضتها في الدار، وكأنها تقص فيلماً درامياً كانت هي بطلته وآدم هو البطل، حيث أكملت: حياتنا بدون أهالينا في الملجأ زي حياة المريض إللي اتقطع دراعه، إللي لا يمكن يتعوض بدراع صناعي.. يشبه كتير المتطوعين.

ثم وقفت للحظات تجفف دموعها وأكملت: حياتنا في الملجأ.. زي حياة المساجين برده.. أكل بميعاد.. ونوم بميعاد.. كله بميعاد. وكل

الأبواب حوالينا مقفولة لكن الألم فاتح لينا بابه في اليوم ٢٤ ساعة.. حتى كتير من الناس بتبص لينا كإننا مساجين، ونظرتنا إحنا ليهم بتأكد إننا فعلًا مجرمين. دايمًا باصين في الأرض.. حتى مع نظرات الشفقة منهم.

ثم تبسمت نور وعادت قائلة: مش هأقدر أنكر حنان وعطف ماما حكمت عليا طول السنين ديه، لكن إيه الفايدة إن مديرة الملجأ ملاك.. في الأول والآخر اسمه ملجأ.. حتى ولو قابلت أجمل صحبة في حياتك برده لازم تتعذب على إنك هناك علشان سبب واحد، وهو إنك ناقصك حاجات ما تتعوضش علشان تبقي زي الناس إللي بره.

ثم جلست وأغمضت عينيها للحظات وقالت: أما آدم فهو كان المسكن الوحيد لكل الأوجاع والآلام ديه.. كمان علمني ازاي يكون عندي عزة نفس ومقبلش أي هدية من أي متطوع، علمني يعني إيه أرضى بقضاء ربنا لإننا ملناش يد فيه، وأرضى بحياتي علشان ربنا يراضيني، كان دايمًا هو مصدر الحنان والأمان بالنسبة ليا ولحد دلوقتي برده هو مصدرهم.

كادت دموع حسام تنهمر وقد كان يقول في نفسه: إنت حقيقي بطل يا آدم وليك كل التحية والاحترام، ولكن الأغرب دموع ياسمين أيضًا بعد أن انهار جبل الكبرياء الذي كانت تقف فوقه، عندئذٍ شعرت بنور وأدركت أنه كان من الممكن أن ترى نفس مصيرها لولا حكمة الله في ذلك، بينما أيقن عاصم أن نوراً تحب آدم، وتأكد أيضًا من حديثها أن آدم أيضًا يعشقها، وهو الجدير بالفعل بها، ولكنه قال في نفسه: لن أضحي بقلبي من أجل آدم بل سوف أقاوم حتى النهاية.

– نهاية إيه يا ليلى.. إللي وصلتلها مع سامح.. هو إنتو لسه بدأتوا؟

هكذا تساءل آدم.

ليلى: أيوه يا آدم.. لازم أبدأ من تاني مع واحد يكون ليه نفس ظروفي.. أما هو فازاي أهله يقبلوني يا آدم؟

سكت آدم للحظات وكأنه يبحث عن فكرة ثم عاد قائلًا: افرضي يا ليلى إن ربنا خلق شكلك دميم.. يا ترى هاتعيشي دور المقهورة.. ولا هاتحاولي تبيني الجانب الحلو فيكي.. زي ثقافتك.. أدبك أخلاقك.. أو حبك لبلدك.

ثم أكمل: أظنك حابة تعيشي دور المقهورة يا ليلى.. من غير أي مبرر لكده.

ليلى: بس أهله مستواهم عالي أوي يا آدم، وأكيد مش هيوافقوا.

آدم: سامح بيحبك يا ليلى.. عايزة تطمني أكتر؟

ليلى: أيوه.

آدم: خلاص بصي لسامح ازاي متربي.. وإللي متربي متخافيش منه.. ولا من إللي مربينه لأنهم أكيد ولاد أصول.. يقدروا يقدروكي.. ويقدروا ظروفك.

وهنا تبسمت ليلى أخيرًا تعبيرًا عن اقتناعها بكلام آدم الذي غير في لحظة هذه الدنيا في عينها حيث لم تجد سوى حضن فريدة التي قالت لها بفرحة: مش قولتلك يا هبلة إن سامح بيموت فيكي وبيحبك.

– مين قالك كده؟ عاصم عمره ما حبني يا ياسمين إلا زي أخته بالظبط.

تلك الجملة وجهتها نور لياسمين التي نفت: لا يا نور إنتي غلطانة.. إنتي ما تتخيليش بيحبك أد إيه.. وازاي بيتكلم كتير عنك.. وحاله ازاي في إيطاليا لما يقلق يوم عليكي.

نور: لو كان بيحبني ماكنش سابني للغريب رباني يا ياسمين.. ماكنش سابني اتربى في ملجأ أيتام.. إنتى لا يمكن هاتحسي...

قاطعتها ياسمين وهي تحتضنها ثم قالت بعين تملؤها الدموع: حسيت.. حسيت بكل إللي شوفتيه يا حبيبتي..أنا حبيتك أوي يا نور.

نور: أنا كمان حبيتك يا أبلة.. أقصد يا ياسمين.

ياسمين ضاحكة: لا يا ستي إنتي قوليلي دايمًا يا أبلة.. يشرفني إنك تكوني أختي الصغيرة.

قطع عاصم هذا الحوار عندما دخل من باب الفيلا وابتسم في وجه نور واصطحبها لحجرة المكتب ثم أخرج علبة بها سلسلة وخاتم ألماظ وقال لها: هاه يا ترى.. الهدايا بتاعتي بتعجبك زي هدايا آدم؟

نور: من غير هدايا يا عاصم.. كفاية عطفك وحنيتك عليا.

تبسم عاصم قبل أن يقول: لا مش عطف.. أنا مستعد أنفذ كلامي مع آدم واتجوزك، إيه رأيك يا نور؟

ارتبكت نور وقالت: أنا اتعودت إني ماليش رأي.. لكن إنت بتحب سارة يا عاصم.. وعمرك ما حبتني غير زي أختك.

أمسك عاصم كتفها بقوة وصاح: ديه طبعًا مبررات بتقوليها..

لإنك بتحبي آدم.. صح؟

بكت نور بين يديه وقالت: مش كده خالص.. صدقني مش بارفضك.. أنا بس عايزة حد أتسند عليه.. إنما إنت أهو يومين وماشي.

شعر عاصم بتهوره معها.. كما شعر بالشفقة والحنان تجاهها فجأة حتى كاد أن يحتضنها حيث قال لها: أوعدك.. أوعدك يا نور هكون هرم تتسندي عليه، ومش هاسيبك أبدًا.

قاطعه رنة هاتفه، فهو رقم أبيه فبسرعة أعطى الهاتف لنور لتحادث عمها مكالمة فيديو، ولكنها خرجت منزعجة عندما قال عاصم كلمته الأخيرة: يلا يا بابا تقل بقى جيبك.. علشان هارجع تاني علشان أتجوز نور.

ثم جلس عاصم شاردًا بحجرة المكتب حتى دخل عليه حسام قائلًا: تصور يا عاصم.. ياسمين عايزة تلبس حجاب.. بركاتك يا ست نور.

ولكن ما زال عاصم على شروده لذا سأله حسام: مالك يا عاصم.. حصل إيه؟

قص له عاصم كل ما حدث ليقول حسام بلا مقدمات: نور بتحب آدم يا عاصم، يا ريت ما تجبرهاش على حاجة.

عاصم بضيق: إنت معايا ولا معاه؟

حسام: أنا باحب آدم جدًا، وباحترمه بس لازم أبقى معاك؛ لإنك أخويا.

عاصم: ازاي بقى وإنت بتقولي سيبها؟

حسام: ماقولتش سيبها.. لكن لازم تتعامل مع الموقف؛ علشان تعرف تجيب نور لأرضك.

عاصم بلهفة: ازاي؟

حسام: نور يا عاصم شجرة صغيرة.. مدت جذورها في أرض آدم.. لكن الشجرة الصغيرة ممكن تتنقل من أرض لأرض تانية.. لكن ننقلها باللطف واللين.. من غير ما نكسر أي حاجة فيها....فهمت؟!

يبدو أن كلام حسام كان مقنعًا، وتعد هي الطريقة الأمثل لجذب نور التي دخلت مرة أخرى إليه وقالت في تردد: عاصم هو ممكن آدم يجي معانا الفرح؟

ثم عادت: خلاص لو مش عايز خلاص بلاش.

عاصم بضيق: ما تثبتي على رأي بقى..عايزاه يجي ولا لأ؟

ثم تذكر عاصم مرة أخرى نصائح أخيه، ليهدأ من صوته ويقول: عمومًا يا نور.. أنا زي أي حد من المعازيم. ما أقدرش أعزم حد، لكن يا ستى لو عايزة تجيبه هاتيه.

نور وهي في قمة سعادتها: شكرًا.. شكرًا أوي يا عاصم.

– شكرًا على إيه بس يا عمري أنا تحت أمرك.

قالها آدم لعمه اللواء محمود الذي كلفه بتوصيل هنا ابنته من النادي للبيت حيث حدث آدم هنا عن طريق الهاتف، وأخبرها أنه ينتظرها أمام باب النادي، وعندئذ خرجت هنا ومعها العديد من أصدقائها وقد كان الأولاد يداعبون البنات باليد تلك البنات التي كانت تضعن على وجهن المزيد من مستحضرات التجميل حتى بدت كل فتاة

منهن كأنها كانت تغوص في بركة من الجير.

هنا: هاي آدم، ازيك؟ عامل إيه؟ معلش بابي تعبك معايا.

آدم بجمود: لا مفيش تعب ولا حاجة... يلا علشان أنا مستعجل.

صديقة هنا: اممم هنا صاحبك وسيم وشكله حلو أوي فى بدلة الضابط واااو.

ثم مدت يدها لآدم.

آدم بضيق: أنا مش صاحبها! أنا فى مقام ابن عمها.

صديقتها: وإيه يعني لما تكون ابن عمها وصاحبها.

بدأ آدم يتعصب وحاول أن يسيطر على نفسه: قولت لحضرتك أنا مش صاحبها إنتي مسمعتنيش، ولا إنتي أصلًا مش بتفرقي بين الاتنين؟

هنا بقلق: خلاص يا آدم يلا نمشي.

صديقها: على تليفون يا هنون يا قلبي.

هنا وهي تشير له: أوكيه باي يا بيبي.

التفتت هنا تحدث آدم، ولكن وجدته يسبقها بخطوات فنادت: آدم... آدم.

وقف آدم لينتظرها.

هنا: إيه يا آدم هو إنت مش جاي توصلني؟ أُمال سيبتني ومشيت ليه؟

آدم: أنا مسيبتكيش ومشيت أنا بعدت عن أصحابك المستفزين دول.

هنا: فيه إيه يا آدم إنت على طول كده؟

آدم: بصراحة يا هنا أنا مش فاهم إنتي ازاي متصاحبة على ناس بالمنظر ده، ولا تربيتك ولا وضع والدك يسمح لك تتصرفي بالطريقة ديه.

قطع رد هنا رنة هاتف آدم.

آدم: آلو.

نور: أيوه يا آدم.. أنا عايزاك تيجي معايا الفرح.. أنا كلمت عاصم وهو وافق.

آدم: أجي الفرح ازاي يا نور.. هو أنا معزوم.

نور: مش مهم يا آدم.. إنت هاتيجي علشاني أنا.. نفسي تشوفني على الطبيعة وأنا لابسة الفستان الجديد.

آدم: طيب يا ستي.. إن كان كده أنا هاستناكي قدام باب القاعة.. بس اسمعي أوعي تتصوري وتبعتي صورك لحد حتى ولو فريدة وليلي.

نور: طيب.. بس يلا بقى علشان ما نتأخرش.

آدم: حاضر.. حاضر مع السلامة.

شعرت هنا بالضيق من اهتمام آدم بنور حيث قالت: يلا يا آدم بيه علشان متتأخرش علشان نور هانم بتستعجلك، وبعدين تانى مرة متتقدنيش خلي انتقاداتك للست نور.

آدم بتلقائية: بس أنا مش بانتقد نور في حاجة علشان هي مش بتغلط.

هنا: يووه يلا لو سمحت علشان أنا متأخرة.

هز آدم كتفيه ورأسه بدهشة وقال لها: اتفضلي يا أبلة.

– لا بقى ده إنتي إللي أبلة وستين أبلة، ما شاء الله يا نور إيه الجمال ده، الفستان مخليكي أكبر مني.

يا لها من حقيقه قالتها ياسمين لنور التي فرحت وتساءلت: بجد شكلي حلو؟

ياسمين: قمر.. كمان مش محتاجة.. ميك أب أو أي حاجة.

نور: يعني هاعجب آدم؟

ياسمين: اشمعنا آدم يعني.. هاتعجبي عاصم كمان.

سرحت نور في آدم ورددت بهمس:

بحبك لأنك عيون الحياة
بشوف بيكي أملي إللي انتهى
بحبك لإنك في آخر ندا
ساعات يا حبيبتي ياخدني خيالي
وافكر في حالي من غيرك إنتي
لميين يا حبيبتي هاكمل حياتي
ده أنا أمنيتي اتبنت بيكي إنتي
بحبك لإنك وهبتي بحبك لقلبي مناه
بفكر في أسرع طريق للقا
في رحلة حياتنا إللي هتكون لينا
هتبقي معايا في صبحي ومسايا
هنبقى أنا وإنتي في عالم سعيد

في صمتــه وجنونه وأملــه العنيد
أكيــد يا حبيبتــي هاكمــل حياتي
ده أنــا أمنيتــي اتبنت بيكــي إنتي

وصل الجميع للفرح، ودخل عاصم ونور بجواره وعندما شاهدهما رامز أسرع ورحب بهما، بعد أن لفت انتباهه جمال نور الهادئ، ولكن لم يكن عاصم هادئًا بعد أن لاحظ نظرات رامز كالرصاص تخترق جسدها؛ لكي يتقدم خطوة للأمام؛ ليتوتر رامز بعد شعوره أن عاصم قد كشف نظراته لها ليقول: اتفضل يا عاصم.. تعالى ديه والدتي كانت لسه بتسأل عليك.

عاصم: طيب بعد إذنك هأقعد نور وبنات خالتي على ترابيزة وهاجي وراك أسلم عليها.

رامز: تعالى، أنا حاجز ليكو الترابيزة ديه.

أجلس عاصم نور وقال لها: متتحركيش من هنا.. وانت يا حسام خلي بالك منهم متخليهمش يتحركوا.

استجابت ياسمين لكلام عاصم.. ونور لم يسبق لها أن اعترضت على أي شيء، بينما سارة اعترضت بشدة وقالت: أُمال إحنا جايين الفرح ليه علشان نقعد زي التماثيل؟

عاصم بضيق مما ترتديه: أُمال إنتي عايزة تعملي إيه؟ مش كفاية إللي إنتي لابساه جسمك كله باين!

سارة بقصد إغاظة نور: إنت بتغير عليا يا بيبي؟

حسام وهو يلوي فمه وبصوت هادئ: بيبي اممم.

كاد عاصم أن ينطق إلا أنه وجد رامزاً قادماً عليهم بوالدته.

رامز لوالدته: آدي يا ستي عاصم إللي عمالة تسألي عليه.

والدة عاصم: ازيك يا بني عامل إيه؟ وإيه إللي أخركوا كده؟

مد عاصم يده وسلم عليها وبأسلوب راقٍ: أنا باعتذر لحضرتك الطريق كان زحمة.

والدة رامز مدت يدها لنور بالسلام: ازيك يا أجمل بنوتة في الفرح، عاملة إيه يا حبيبتي؟

نور بخجل: الحمد لله.

رامز يراقب نور بنظراته بينما عاصم ينتبه لذلك.

والدة رامز: أنا عايزة أطلب منك طلب يا نور.

نور بدهشة: مني أنا! اتفضلي.

والدة رامز: عايزاكي تغني بصوتك الجميل ده.

نور بخجل: اااأنا... أصل.

عاصم مقاطعًا: معلش يا طنط أصل نور بتتكسف.

والدة رامز: هو فيه حد بيتكسف الأيام ديه يا نور، طيب ولو قولتلك علشان خاطري.

لاحظ عاصم أن نور بدأت تنكمش فيه، وهذا ما أسعده، وشعر أنه أمانها الوحيد لذا تبسم لها قائلا: هاه، تحبي تغني؟

حسام: قولي: آه يا نور؛ خلينا نفرفش يا شيخة.

نور بصوت هامس وهى لا تزال على نفس وضعها: لا أنا مكسوفة.

عاصم: طيب سيبيها شوية يا طنط، ووعد مني هخليها تغني.

والدة رامز: خلاص طالما وعدتني هامشي وانا مطمنة.

سارة بحركة مفاجئة جذبت عاصم من يده وقالت: يلا يا عاصم الموسيقى تحفة يلا نرقص.

نظر عاصم لنور فوجدها جلست مكانها، بينما سار هو مع سارة لعدم الإزعاج منها وبعد أن ابتعدا لخطوات قال لها في حدة: إنتي بتستعبطي! إنتي بتشديني كده ليه؟

سارة: يلا بقى يا عاصم؛ إنت مش سامع الموسيقى؟

وبدأت سارة بالرقص.

مرت بعض الدقائق رقصت فيها سارة مع عاصم سلو.. وتابعت بعدها برقصات وحركات غريبة مما جعل الشباب يلتفون حولها مثل الذباب ما بين مصفقٍ ومغازلٍ أو ملامسٍ لها حيث شعر عاصم بالضيق، فتركها وعاد لنور، كما أن رامزاً ووالدته قد تضايقا أيضًا وتغير وجهاهما وكأنهما يشمان رائحة جثة متعفنة.

عاصم لياسمين: عاجبك إللي أختك عملاه؟ وده كمان فستان تلبسه؟

ياسمين: طيب وإنت مقولتلهاش ليه.

لم يجب عاصم وعاد بنظرة لها، وكاد الغيظ أن يقتله.. مما أثار شك نور أن عاصمًا شديد الغيرة على سارة، وأن حديثه معها عن الزواج ما هو إلا نوع من الشفقة، ولكنها تهتم بالأمر لأنها على كل حال.. قلبها يملكه إنسان آخر.

عاصم بابتسامة: نور.

نور: نعم.

عاصم: أنا كمان عايز أسمع صوتك.

تبسمت نور وقالت: طيب هاتقف جنبي وانا باغني علشان هاتكسف أقف لوحدي.

عاصم: طبعًا، وهو أنا هاسيبك.

وأمسك يدها متجهًا بها نحو العروس ثم أعطاها المايك، وبدأت نور تغني، وما كانت تشدو به كان جميعه موجهًا لآدم.....

نور:

حبيته بيني وبين نفسي ومقلتلوش عإللي في نفسي
معرفش إيه بيحصل لي لما باشوف عينيه
مبقيتش عارفة أقوله إيه معرفش ليه خبيت عليه
بضعف أوي وأنا جنبه وبسلم عليه
كل حب الدنيا ديه في قلبي ليك
ده إنت أغلى الناس عليا روحي فيك
ده إنت لو قدام عينيا أشتاق إليك
على بالي ولا إنت داري بإللي جرالي
والليالي سنين طويلة سيبتهالي
يا انشغالي بكل كلمة قولتهالي
الكلام لو كان يعبر عالحنان

كنت قولت إني بحبك من زمان
كل يوم الشوق بيكبر عليا بان
على بالي ولا إنت داري باللي جرالي
والليالي سنين طويلة سيبتهالي
يا انشغالي بكل كلمة قولتهالي

كان صوتها عذبًا جدًا لذا تجمعت الناس حولها ومنهم من رقص على صوتها سلو، فقد أعطت طابعًا آخرًا لتلك الأغنية حيث كان عاصم أشدهم فرحًا وشوقًا حتى أنه غنى لها هو الآخر دون أي خجل.

لم تعلم نور أن آدم قد وصل لباب القاعة واستمع لها، وهي تغني وعلى قدر سعادته بصوتها إلا أنه كان منزعجًا عندما شاهد كل هذا الجمع يلتف حولها حيال ذلك الصوت وفستانها الجذاب.

إني أغار منك يا ثوبها حين أراك على جسدها
وعلمت أنها تثق بك وإلا ما وهبتك نفسها
أتتحداني يا أيها الثوب وتلتف حول قوامها
ألا تخشاني إذا رأيتك فأقتلك ألم تعلم بأنني أحبها
وكيف أستطيع الانتقام منك وأنت القريب إلى قلبها
يا صديقي يا حبيبي يا عدوي يا من تحمل أسرارها
يا ليتني كنت لك توءمًا أسكن مثلك عندها
أخبرني يا صديقي كيف تضحك وكيف تبكي وماذا يكتب قلمها
هل تذكرني إذا تحدثت هل تلتقيني في أحلامها
هل تعلم أنني مشتاق إليها إلى ابتسامتها إلى سماع صوتها

مزقني الشوق أحرقني البعد ورائحة الجنة في ثوبها
أذابني العشق أماتني الهجر وتتنفس أنت عطورها
ما استطاع أحد أن يحدثها أن يلمسها ومنحتك هي نفسها
– توءم روحي..

قالتها نور وهي تهرول تجاه آدم.. ليتفاجأ عاصم.. لمن هذه الكلمة ليجد آدم أمامه؛ ليندهش ويقول لنفسه: توءم روحها؟

قد ظن عاصم أنه خطا نحوها خطوات عديدة ولكنه أيقن أنه كان يدور حول نفسه فقط، ولكن لا بأس.

بينما مد آدم لها يده، وصافحها بجمود، اندهشت نور لحال آدم معها، ودموعها ملأت عيونها وبحزن قالت: إنت مش مبسوط ليه؟ ومقولتليش رأيك فى الفستان هو معجبكش ولا أنا إللي شكلي وحش فيه؟

رق قلب آدم على صغيرته وقال: بالعكس يا نور إنتي زي القمر وكبرتي كمان، بس أنا زعلان علشان غنيتي وصوتك طلع للناس وأنا مربيتكيش على كده.

نور: طيب حقك عليا، مش هاغني تاني ولا هطلع صوتي تاني.

آدم: لا يا نور غني براحتك بس في البيت لنفسك أو لجوزك وولادك إنما مش عايز الشباب كده يتلموا عليكي، ولا إنتي عجبك المنظر إللي أنا شوفته ده.

نور بتوسل: توءم روحي علشان خاطري متزعلش مني حقك عليا.

فى ذات الوقت آدم ابتسم لها بدفء وقال لها: خلاص يا نور

حياتي أنا مش زعلان.

نور: طيب ممكن تصورني معاك سيلفي.

اقترب آدم منها وقال: تعالي يا ستي وهو أنا أطول أتصور جنب القمر.

لمعت عين نور بجوار آدم، وبالفعل التقطت الصورة حيث اقترب منهما عاصم وحسام إضافة إلى ياسمين وسارة.

ضم عاصم يده والغيرة تبدو بوضوح على وجهه وكل ملامحه: ازيك يا آدم.. إيه مش عايز تدخل ليه؟

مد آدم هو الآخر يده لمصافحة عاصم وقال: أنا آسف يا عاصم، بس انا مش عايز أسببلك أي إحراج لإني مش من المدعوين، وانا جيت بس لإن نور كانت عايزاني أشوفها وألحت عليا.

حسام: ازيك يا آدم.

آدم: الحمد لله.. ازيك إنت يا حسام.

سارة: اممم ليكي حق يا نور تتعلقي بيه لإنه فعلًا وسيم.

عندما استمعت نور لكلام سارة أسرعت لتمسك يده وكأنها تقول: ده ملكي أنا وبس.. ملكي لوحدي.

شعر آدم بتلك الجملة، وضغط على يدها لعلها تشعر بالأمان وكأنه

يقول لها: ليس لي سواكي.

تضايق عاصم من كلمة سارة وأحس بحركة نور وكاد أن يوبخ سارة على فعلتها، ولكن قاطعه صوت ياسمين: الحقي يا نور شعرك

ساب من تحت الحجاب.

ارتجفت نور، وبسرعة اختبأت خلف آدم وحاولت أن ترفع شعرها.

وقف الأسدان أمام هذه الحركة وعيونهما بها تحدٍ كبير لبعضهما على الرغم من أن كلًا منهما لم ينطق بحرف وكان أحدهما بأشد حالاته من الغيرة والعصبية الواضحة في رعشة جسمه، أما الآخر وقف شامخًا لا يهزه شيء، فهو وضع أساسيات حبه فى قلب صغيرته من البداية، ونور لا تعلم أن بحركاتها التلقائية هذه أراحت نفس واحد، وأشعلت نفس الآخر.

أما حسام فلاحظ التوتر بين الطرفين وابتسم؛ لأنه من داخله كان معجبًا بطريقة آدم في تربية نور وحتى في طريقة عقابها عند غنائها.

نور لياسمين: هاه، كده كويس لميته كله.

ياسمين: آه خلاص.

اقترب رامز، ووالدته منهم.

والدة رامز: والله إحنا متشكرين أوي يا عاصم عإللي عملتوه إنت ونور.

عاصم: ولا شكر ولا حاجة يا طنط رامز أخويا.

رامز: طيب، حيث كده بقى أنا طالب القرب منك.

عاصم باستفهام: تقصد إيه يا رامز؟!

رامز: طالب القرب منك في نور.

وعندئذ توارت نور كليًا خلف آدم.

عاصم بدهشة: إنت بتقول إيه يا رامز ديه طفلة.

رامز: طفلة ازاي يا بني؟ ما هي عروسة زي القمر أهه.

عجز آدم هو الآخر عن النطق، ولكن الكلام موجه فقط لعاصم.

عاصم فجأة: عمومًا أنا كان يشرفني يا رامز، بس نور خطيبتي من زمان، وأول ما تخلص دراستها هنتجوز.

رامز: أنا آسف يا عاصم، أنا معرفش إنك خاطبها.

عاصم: ولا آسف ولا حاجة.. عمومًا أنا هستاذن بقى علشان اتأخرنا.

رامز متوترًا من إحراجه: أنا متشكر أوي يا عاصم على تشريفك ليا النهارده.

– متشكرة على إيه يا نور.. ديه شوية روايات بسيطة.

نور: طيب يا ترى قرتهم كلهم علشان تختارلي الأنسب يا توءم روحي؟

آدم: كلهم مناسبين يا نور حياتي.. عندي خبر ليكي كمان هيسعدك أوي؟

نور: إيه هو؟

– ليلى خلاص وافقت بسامح وقريب أوي هيتجوزوا.

نور: بجد.. إنت متأكد... أنا فرحانة أوي.

آدم: عقبالك يا نور حياتي

نور برق وجهها إلا أنها انزعجت من نداء عاصم عليها.

نور: طيب، أنا همشي يا آدم، ولما تروح كلمني.

آدم: طيب، يلا علشان عاصم ميفضلش واقف كده عيب.

جلست نور بجوار عاصم وقد كان في منتهي الضيق منها.

عاصم: إيه إللي في إيدك ده؟

نور بفرحة ضمت الروايات لصدرها وقالت: ديه روايات آدم اشتراهالي لإني كنت طلبتها منه.

عاصم بنفس الضيق: وهو أنا أكتع مش هعرف أجيبلك روايات.. ليه مطلبتيهاش مني وروحتي تطلبيها منه؟ ليه دايمًا عايزة تفهميه إنه أحسن مني وتخليني أحس إني بعيد عنك وإنك مش عملالي أي احترام ولا وجود فى حياتك؟ هاه ما تردى ساكتة ليه؟

بكت نور بشدة وقالت: بس أنا معملتش أي حاجة من إللي إنت قولتها ديه؛ كل الحكاية إني طلبتهم منه قبل ما أنت تيجي أصلًا.

عاصم وقد هدأ قليلًا فقد عتب على نفسه لصياحه في وجهها، وكثيرًا ما تسبب في هطول دمعها، على عكس آدم منبع الابتسامة والسعادة لها.

عاصم: خلاص يا نور اهدي أنا آسف مش قصدي والله، بس إنتي لازم تقدري شعوري لما أشوف بنت عمي بتطلب من واحد غريب حاجة وأنا جنبها فأكيد هضَّايق.

نور وهى تجفف دموعها: بس آدم مش غريب.

عاصم: لا يا نور، آدم غريب ولازم تفرقي بين الغريب والقريب، هو آه ساعدك كتير إنما برده غريب.

نور بشهقة عالية: لا، آدم مش غريب، آدم أقرب واحد ليا في

الدنيا ديه، ومحدش يقدر يقول عليه غريب.

وانفجرت فى البكاء بهيستيريا.

عاصم: خلاص يا نور أنا مقصدتش إن آدم وحش، أنا عارف إنتي متعلقة بيه أد إيه، وأنا مقدر ده، وبعترف بفضله ده يا ستي، بس أنا كمان غصب عني.

نور: ليه غصب عنك هاه؟

لم يجب عاصم.

نور: ما تتكلم يا عاصم، غصب عنك إنكو سيبتوني وهو إللي أخد باله مني، غصب عنك إنك ماكنتش تعرف شكلي بقى إيه، وهو إللي حافظ كل حاجة في ملامحي! غصب عنك علشان...

عاصم مقاطعًا: خلاص يا نور... خلاص ماتدبحنيش بسكينة تلمة... متعاتبنيش على حاجة أنا كنت زيك مجبور عليها... متعاتبنيش إني كنت طفل زيك ومش هعرف أتصرف... متعاتبنيش على...

قاطعته نور: خلاص يا عاصم.

وبدأت تمسح دموعها وتهدئ من عصبيتها وقالت له: أقدارنا ملناش يد فيها، ولو عاتبنا بعض هنكون إحنا الخسرانين.

عاصم بعد تنهيدة: خلاص يا نور، إنتي عندك حق ملوش داعي الكلام في حاجات فاتت ولازم ننساها.

– إنساها إنت يا عاصم.. أنا عمري ما هأقدر أنساها.

هكذا حدث آدم طيف عاصم وهو يسير على قدميه مستنشقًا الهواء النقي، وابتسامته تزين وجهه، وهو يتذكر شكل نور وجمالها

وهو يقول لنفسه: إنتي حقيقي كبرتي يا نور أنا مش مصدق، لا وكمان بيجيلك عرسان، وعند هذه الكلمة تجهم وجهه وتذكر كلام رامز، وإعلان عاصم بخطوبته منها، فتنهد وأكمل طريقه ونام ذلك اليوم وصورتها معه هي آخر ما رأته عيناه التى نمت وكبرت نور أمامها، تلك الطفلة التي كان يصفف لها شعرها، ويحملها فوق كتفه، وبدأ الود والانسجام بينهما.

– ده انسجام بقى ملفت للنظر.

قالها عاصم لنور وياسمين وهما تجلسان في اليوم التالي، وقد بدا على ياسمين حب طباع نور، وبدأت أيضًا تقلدها في الهدوء، والملبس، وفي قراءة الروايات، والصلاة، وقراءة القرآن أيضًا.

عاصم: هاه عاملين إيه؟

نور وياسمين: الحمد لله.

نور: إنت كنتي فين؟ أنا سألت عليك علشان لقيتك خرجت.

عاصم مد يده لها وقال: أنا خرجت علشان أجيبلك دول.

فتحت نور الحقيبة وقالت بفرحة: الله روايات ربنا يخليك ليا يا عاصم.

عاصم بحنان: ما أنا مقدرش أعرف إنك بتحبي حاجة وماجيبهالكيش.

نور: طيب أول ما تخلصهم هاتهم، بس ما تتأخرش عليا فيهم.

عاصم بدهشة: أخلص إيه يا نور؟ أنا مليش في جو الروايات أنا جايبهم علشانك إنتي...

نور تداركت ما قالت وبملامح متغيرة: أوكيه، طيب خلاص سيبهم.

عاصم: فيه إيه يا نور؟ مالك اتغيرتي كده ليه؟ هو أنا عملت حاجة غلط؟

ياسمين واقفة مستمعة للحوار وهى أيضًا مندهشة من رد فعل نور وكانت متلهفة لمعرفة السبب.

نور بتردد: أبدًا، أصل أنا افتكرتك هتعمل زي ما آدم عمل معايا.

عاصم لنفسه: يا دي آدم إللي دايمًا مشاركني فيكي.

عاصم بصوت مسموع: وآدم عمل إيه يا نور وأنا معملتوش؟

خفضت نور رأسها في الأرض وبصوت هامس وبملامح متجهمة قالت: أصل آدم مكانش بيخليني أقرا أي حاجة إلا لما يقراها الأول علشان لو فيها حاجة مش هتتناسب معايا مش بيخليني أقراها.

هنا صُدم عاصم من كلامها كم أحسن آدم تربيتها!

عاصم لنفسه: دايمًا إنت الأسبق مني بخطوات يا آدم، دايمًا إنت الأفضل في كسب قلبها.

لم يجد عاصم أي جواب نظرًا لخجله من نفسه، وما كان منه إلا أن تركها ودخل حجرة مكتبه، بعدها دخل حسام على عاصم وقال له: إيه يا بني مالك بقى لك ساعتين حابس نفسك في الأوضة! مش ناوي تخرج ولا إيه؟

لم يجب عاصم.

حسام: امممم... باين إن الموضوع جامد... قول وفضفض.

قص له عاصم ما حدث.

حسام بإعجاب: أنا كل يوم بيزيد إعجابي بآدم ده.

عاصم: هو أنا بحكيلك علشان تقوللي كده.

حسام: أنا آسف يا عاصم مش قصدي، بس فعلًا أنا معجب بتربيته، ومن حسن تصرفه بس مش عايزك تيأس.

أكمل حسام: أنا عايزك تعرف نور الأول يا عاصم.. تعرف العجينة الأول.. علشان تعرف تشكلها ازاي.. وإنت كمان مع نور نفس الشيء هي رسمت لك صورة وهي صغيرة، وبدات تتلاشى حبة حبة، وعلشان ترجع وترسمها لك تاني لازم تقرب منها وتحاوطها سواء وإنت جنبها أو بعيد عنها.

عاصم: طب والعمل.. ده إحنا خلاص الأسبوع قرب ينتهي.

حسام: سافر وارجعلها... خليك جنبها... خليك أمانها... خليك عيلتها.

عاصم بتدبر: ربنا يسهل بس أمك متخترعليش حوارات؛ لأن أنا قلبي حاسس إنها مش هتعديها على خير.

حسام: ربنا يسترها، تفاءل خير.

عاصم: إن شاء الله.. لازم زي ما كنت سبب تعلقها بآدم.. هابقى سبب إنها تنساه وترجع حضني تاني.

حسام: حاول يا عاصم، حتى ولو كان الأمر صعب شوية.

عاصم: ليه صعب؟

حسام: أقول لك ومش هاتزعل؟

عاصم: لا.

حسام: لإن الفرق إللي بينك وبين آدم كبير يا عاصم... هو اداها كل حاجة من غير ما ينتظر حاجة.. وإنت انتظرت كل حاجة من غير ما تدي حاجة.. فهمت يا عاصم؟

عاصم: أيوه فهمت.. وأوعدك ده كله هايتصلح.

حسام: ربنا يقرب لك البعيد يا عاصم.. ويريح قلبك.

مر الأسبوع سريعًا حاول عاصم من خلاله أن يعوض نور عن كل ما ينقصها من هدايا وشراء ملابس، وأن يقربها أكثر ويتعرف عليها أكثر حتى إنه يظل كل ليلة جالسًا على المقعد بجوارها حتى تخلد في النوم، ويشعرها بدفء الأسرة والعائلة، ويثبت لها أنها كل شيء، ومن الممكن أن يفعل من أجلها أي شيء.. سوى تركها لآدم.

ولكنها مزقت قلبه في ليلة عندما نظرت له وبكت ثم قالت: إنت خلاص هتسافر وهتسيبني وأنا هارجع الدار تاني.

وعندئذٍ تصدع قلب عاصم على حالها وحاله ثم أغمض عينيه وقال وهو متماسك: متقلقيش يا نور أنا هارجعلك تاني.

نظرت له نور بعين تملأها الدموع.

وقالت له: ما أنت قولت لي كده زمان ومرجعتش.

عاصم: بس أنا دلوقتي غير زمان، أنا دلوقتي أعرف أتصرف لوحدي، وصدقيني هرجعلك بسرعة، هخلص بس فض الشركة من هناك وهرجع ابتدي هنا.

نور: أنا مش هنسى أبدًا جو العيلة إللي أول مرة أحس بيه معاكو، مش هنسى أسبوع الحرية إللي عيشته معاكو، مش هنسى ريحة السرير

إللي نمت عليه، مش هنسى راحتي وأنا بتصرف بحرية، مش هنسى خروجي معاكو وإحساسي بالناس والحياة إللي بره.

عاصم مقاطعًا: خلاص يا نور متقطعيش فيا أرجوكي.

نور وهى تجفف دموعها: خلاص يا عاصم متقلقش، أنا كويسة، أنا بس كان جوايا شوية وجع وفضفضت بيهم.

عاصم: طيب يلا قومي حضري شنطتك.

ابتسمت نور ابتسامة حزن وقالت له: متقلقش يا عاصم أنا شنطتي محضراها من تاني يوم من بعد إنت ما ساعدتني إني أحطهم في الدولاب؛ خُفت أعود نفسي عالحرية فشيلتهم تاني في الشنطة علشان مساعدش نفسي إنها تحلم بحاجة مش هتتحقق.

لم يستطع عاصم الرد عليها حيث ربت على كتفها وقال لها: طيب قومي يا نور من قعدتك ديه واغسلي وشك وفوقي كده.

قامت ببطء وتحركت بهدوء ناحية الحمام، بينما وقف عاصم يراقبها، ويفكر في أي شيء يجعلها مطمئنة من عودته مرة أخرى.

دخلت نور غرفتها واتصلت بآدم.

آدم: نور حياتي.. عاملة إيه؟

نور بصوت متحشرج: الحمد لله.

آدم بلهفة: مالك يا نور فيكي إيه؟

انفجرت نور من البكاء وقالت له: أنا تعبانة أوي يا توءم روحي، وماحدش هيحس بيا إلا إنت.

آدم بقلق عليها: اهدي يا نور وقوليلي مالك.

نور: إنت سيبت الدار ومشيت، وعاصم هو كمان ماشي وجو البيت والحرية ودفا العيلة خلاص مش هحس بيهم تاني.

أشفق آدم على حالها وقال لها: اهدي يا نور وقومي اتوضي وصلي، وأنا هاجي الصبح علشان أكون معاكي وإنتي بتوصليهم.

نور: حاضر.

– حاضر ماتقلقيش يا ياسمين.. هاخلي بالي من نفسي.

جملة قالتها نور لياسمين في اليوم التالى وياسمين في طريقها للسفر.

ثم قالت لها ياسمين: وصدقيني أنا استفدت منك، واتعلمت منك كتير كفاية إن بسببك اتغيرت معاملة حسام معايا.

نور ابتسمت ولم تقو على الكلام بينما قالت لها سارة: باي.

دون أن تمد يدها وتصافحها، ثم اقترب منها حسام ووضع رأسها بين كفيه وقبل جبينها وقال: سلام يا بنت عمي ومتقلقيش عاصم هيرجعلك بسرعة وأنا هرجع معاه أصل بصراحة إنتي خليتيني أحس في الأسبوع ده إني ماكونتش عايش، وإن العيشة في بلدي مع ولاد بلدي أحسن بكتير، عالاقل عرفت يعني إيه أخلاق وقيم وحب.

عجزت نور عن الكلام.

ابتعد حسام عنها بسرعة لأنه لا يستطيع التحكم في حزنه حيال هذه اللحظات، ثم اقترب من آدم وصافحه وقال لآدم: لو قولت أي كلام مش هعرف أوفيك حقك، بس إللي أقدر أقولهولك: أنا متشكر ليك أوي على تربيتك لبنت عمي، وحقيقي ونعم التربية، أنا نفسي

اتعلمت منك كتير.

ربت آدم على كتفه بحنان أخ كبير: متشكرنيش على تربيتي لأختى ده واجب عليا مش محتاج شكر عليه، وبعدين أنا ربيت نور لإنها تهمني سواء كانت بنت عمك أو قريبة أي حد، أنا إللي يهمني هي نور قبل أي حاجة.

حسام: تسلم يا آدم.

اقترب عاصم من نور التي لم تستطع التحكم في دموعها؛ لأنها لا تهوى لحظات الوداع.

عاصم مد يده وأدار وجهها، وبحنان قال لها: بتبعدي وشك ليه يا نور؟ مش عايزة تشوفيني.

نور ولا زال وجهها مرفوعًا بيد عاصم.. أغمضت عينيها وبحزن قالت له: أصل مش عايزة أشوف نفس الموقف إللي شوفته معاك زمان؛ علشان أحس بأمل جديد إنك ممكن ترجع تاني وأعيش وسطكو تاني.

عاصم بقلب موجوع: طالما بتقولي كده يبقى معندكيش ثقة في كلامي.

نور: أتمنى إنك متغيرش ثقتي يا عاصم.

اقترب منها عاصم وقبل جبينها دون أن ينطق أي كلمة.

إنتي أنفاسي ونبض قلبي
إنتي عشقي وأمنياتي
أنا بكي ومعكي أحيا فلا فراق بيننا
ولا الرحيل سينهي حكايتنا

لأنــك أنــتــي أصــل الحكاية
فكيف لــي أن أنــهــي حكايتي
وأنــــتـــي ســبــب حــكــايــتــي
أحــبــك وســـأظـــل أحــبــك
يا من نقشتي اسمك بجدار صدري
وزرعــتــي البسمة على شفاهي

اقترب عاصم من آدم ووقفا مرة أخرى وجهًا لوجه كالأسدين، وبعيون متحدية بدأ عاصم الكلام وقال له: أنا هسافر وأنا مطمن على نور علشان هي معاك، ومش هعرف أشكرك ازاي، وكمان مش عايزك تزعل مني من أي تصرف بايخ أو كلمة صدرت مني ضايقتك، بس أكيد إنت راجل وهتحس بإللي جوايا.

آدم: أكيد حاسس وفاهم.

عاصم: طيب عايزني أجدد الوعد معاك يا آدم ولا إيه؟

كاد آدم أن يقول له: حلني من الوعد ده إللي حرمني إني أعيش الحب الوحيد في حياتي، وبرغم ذلك ضغط على قلبه وقال له متقلقش يا عاصم، إللي بينا لسه بينا، بس أنا لي رأي تاني نفسي تحطه في اعتبارك.

عاصم باستفهام: قول يا آدم أنا سامعك.

آدم: حط لمشاعر نور اهتمام وخليها في اعتبارك.

عاصم بقلق من كلمته: مش فاهمك.

آدم: خلاص اعتبرني مقولتش حاجة.

عاصم: خلاص يا آدم هعتبر كأني مسمعتش حاجة، بس خلي بالك أنا راجع بسرعة علشان أتجوز نور.. يا ريتك بقى ترتب حياتك من غيرها.. أنا ماشي وعايز أسمع إن الكلام ده من راجل لراجل.

آدم بحزن: متقلقش يا عاصم، كلامك من راجل لراجل بس متحاولش إنك تاخدها وتسافر، خليك معاها هنا لإن نور مش هتعرف تعيش بره؛ لأنها مش بتعرف تواجه الحياة وهي في بلدها فما بالك ببره.

عاصم بخبث: مهي مش هتكون لوحدها؛ هي هتكون معايا وبعدين محدش بيسيب لحمه بعيد عنه وخاصة لو كانت نور.

اضطر آدم أن يمد له يده ويصافحه لكي ينهي هذا الحوار القاسي الذي لم يتحمله قلبه.

غادر عاصم وحسام، وسارت نور مع آدم وتفرق الأربعة.

سافر عاصم وفي قرارة نفسه أشياء كثيرة سيبدأها بينما اقترب آدم من نور لعله يأنس برائحتها ونفسها التى شعر أنه سيفقدهما عما قريب، أما نور فسارت بجوار آدم فرحة لعودتها مرة أخرى لدفء صدره، تحتضنه كما كانت تحتضنه أيام طفولتها تلك الطفولة التي تتشابه مع فترة صباها التي تختبئ خلف ستائر المجهول الذي لا يعلمه إلا الله.

تمت

انتهى الجزء الأول

وتبقى التساؤلات؟؟؟؟؟؟؟؟؟

- يا ترى عاصم هيرجع تاني ولا هينسى نور.
- طيب لو عاصم رجع يا ترى هيتجوزها ويبعدها عن آدم.
- هل الدنيا لسه مخبية كتير لنور، ويا ترى آدم ممكن يفكر في واحدة غيرها.
- طيب حياة نور وآدم وعاصم كمان هتكون شكلها إيه لو اتجوزها عاصم وهو عارف إنها بتحب آدم وآدم بيحبها.
- يا ترى آدم هيحافظ على وعده مع عاصم ولا الأيام ممكن تجبره على حاجات ملوش يد فيها.
- طيب يا ترى نور هتقدر تواجه الحياة لوحدها بعيدًا عن عاصم وآدم، وهتخرج من جلبابهم هما الاتنين.

عايزة توقعاتكم